المركز القومى للترجمة

المركز القومى للترجمة

أربعة دروس فى التحليل النفسى

تأليف: مصطفى صفوان

ترجمة: نيڤين مصطفى زيور

مراجعة وتقديم: مصطفى صفوان



1562



يحتوى هذا الكتاب على أربعة دروس فى التحليل النفسى اللاكانى ويناقش التناقضات النظرية والتطبيقية للنظرية الكلاسيكية فى التحليل النفسى التى وضعها فرويد، ثم تنفيذ لاكان لهذه التناقضات وحل المشكلات التى أثرت على حركة تطور التحليل النفسى بشكله الكلاسيكى.

ويقف مفسراً بزوغ الأب الرمزى وتأثيره على مفهوم علم الاجتماع معبراً عن موضوعات فلسفية جد عميقة، تتعلق بأصل الرغبة والوعى الإنسانى. ولا يكتفى بذلك، بل يتطرق إلى فنيات التحليل النفسى وما تناولها من تعديلات على يد لاكان فى سياق شمولى (أى يشمل عدة تيارات فكرية) يجمع فيها بين التحليل النفسى والبنيوية والأنثروبولوجيا السوسيرية ونظريات علم الاجتماع والألسنية.

تصميم الغلاف : نادية كامل



أربعة دروس فى التحليل النفسى

المركز القومى للترجمة
إشراف جابر عصفور

- العدد 1562
أربعة دروس فى التحليل النفسى
- مصطفى صفوان
نيڤين مصطفى زيور
- الطبعة الأولى 2010

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo
e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

أربعة دروس فى التحليل النفسى

تأليف

مصطفى صفوان

ترجمة نيڤين مصطفى زيور

مراجعة وتقديم مصطفى صفوان



2010

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

صفوان ، مصطفى

أربعة دروس فى التحليل النفسى / تأليف مصطفى صفوان

ترجمة نيڤين مصطفى زيور

ط١ ، القاهرة ، المركز القومى للترجمة ٢٠١٠

٨٠ ص ٢٤ سم

١ - التحليل النفسى

(أ) صفوان ، مصطفى (تأليف ومراجعة وتقديم)

(ب) زيور ، نيڤين مصطفى (مترجم)

(جـ) العنوان ١٥٠ ١٩٥

رقم الإيداع ٤٥١١ / ٢٠١٠

الترقيم الدولى I.S.B.N. 978 977 - 479-897-0

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

المحتويات


mohamed khatab

تصدير المترجم

إن ما دفعنى إلى ترجمة هذا الكتاب إلى العربية عدة أمور:

الأمر الأول: أنه كتاب لصفوان الذى يمثل علما من أعلام اللاكانية على المستوى العالمى، والذى ذاع اسمه فى أرجاء العالم كمنظِّر له تفكيره الخاص فى إطار اللاكانية، وبذلك أصبح اسمه مقيدا فى سجل الفكر بعامة والتحليل النفسى بخاصة

والأمر الثانى: أن هذا الكتاب يجمع بين جنباته عرضا مختصرا شاملا لأهم أفكار لاكان برؤية الفيلسوف وحدس المحلل؛ ففى هذا الكتاب نجد طرحا لمشكلات جذرية ضربت بجذورها فى نسيج التحليل النفسى التقليدى؛ كما نجد استشكالات تقع فى صميم الفكر الفلسفى، ونجد لها إجابات لدى الأستاذ صفوان تحمل منهجًا يحدس عيان الماهية وبالإضافة إلى ذلك نجد فى هذه الإجابات حدسا سيكولوجيًا يخترق الحجب، وينفذ إلى أعماق الإنسان ليكشف الحقيقة"

والأمر الثالث: هو أن المؤلفات العربية أو الترجمات العربية التى تناولت الفكر اللاكانى هى فى حقيقة الأمر لم ترتق إلى مستوى هذا الكتاب بما يتضمنه من الفكر من حيث العمق والثراء ، بل نجد أن بعضها جاء معتلا بالقصور فى الفهم للاكان، وما كان يهدف إليه فى محاوراته وحلقاته الدراسية

فالكتاب يعد نموذجا يحتذى لمن أراد أن يتصدى للقضايا الفكرية لتنظيرات لاكان

والأمر الأخير: هو أن صفوان غادر الوطن منذ ما يزيد عن خمسة عقود ولم يغادره الوطن لقد ظلت مصر شاغلة همه واهتمامه، وظل مهموما بها وبأحوالها ويرعى من له اهتمامات بالتحليل النفسى وهو الذى أسرع فى مراجعة ترجمتى فور

طلبى إنه عملاق يتسم بكل تواضع يرفرف حوله المحللون النفسيون من شتى الأجناس والأعراق

ولذا فبترجمتى لهذا الكتاب إلى العربية ليصبح بين يدى أبناء وطنه كمن يوفى دْينًا إلى أرض الوطن

نيفين زيور

مقدمة المؤلف

ينبنى هذا الكتاب على عدد من المحاضرات ألقيتها عام ٢٠٠٠ بدعوة من المدرسة اللاكانية للتحليل النفسى بكاليفورنيا

كان جمهور المستمعين يتكون من السيكولوجيين والأطباء النفسيين وبعض المشتغلين بالدراسات الأدبية واللغوية وسرعان ما تبين لى أنهم يؤثرون أن تقتصر المحاضرات على تقديم الخطوط العريضة للموضوع ليتسع الوقت بعد ذلك للنقاش بقدر الاستطاعة ، فاستجبت مسرورا لرغبتهم هذه فى تفضيل التخاطب على الخطاب وكان بين الحاضرين طالبة من طالباتى ، هى السيدة آنى شين ، تسرع فى الكتابة على الآلة الكاتبة سرعة الريح ، حسب تشبيهها ، فسجلت كل ما ورد فى هذه اللقاءات ، ثم أخذت فى تبويبه وتنقيحه لتخرج منه كتابا تولت بعد ذلك نشره هناك. ويسعدنى أن يقع هذا الكتاب بين يدى الدكتورة نيفين زيور ، وأن يحظى بتقديرها تقديرا جعلها تقبل على ترجمته هذه الترجمة الأمينة التى يراها القارئ بين يديه

أحب أن أنتهز هذه المناسبة عن الثابت والمتحرك فى التحليل النفسى بين الشرق والغرب إن التحليل النفسى لا يطلبه إلا من دخلت فى أذهانهم فكرة العلم ، وهم ينحصرون عندنا فى الطبقة المسماة بطبقة المثقفين من المدرسين والطلاب وأصحاب المهن الحرة كالأطباء والمحامين ، عدا الكتاب والمشتغلين بمختلف أنوا ع الفنون ، وهم جميعا لا تزيد نسبتهم فيما أظن عن ١٠٪ من مجموع السكان ، بينما تنعكس هذه النسبة فى الغرب أما السبب فى كون الغالبية العظمى من مواطنينا تعيش خارج نطاق الحياة المعاصرة ، إن لم نقل خارج الزمن ، فسؤال لا محل للخوض فيه هنا ليتسع الكلام عن الثابت فى التحليل النفسى سواء كان الملتجئ إليه من أهل الشرق أو الغرب

إن طلب العلاج النفسي ينطوي صراحة أو ضمنا على تسليم من جانب الطالب أو الطالبة بأن ثمة منطقة من داخله أو داخلها تتوه عن علمه أو علمها ، هي المنطقة التي نطلق عليها اسم اللاشعور

والأحرى تسميتها باسم اللامعلوم أما الإدراك التام لواقعية اللامعلوم ، بما هو منطقة تنبض فيها الحقيقة بما هي حقيقةٌ من حيث تفلت من العلم ، فهذا أمر لا يتحقق إلا بتحقق التحليل النفسي وتمامه

هذا المسار لا يتغير بين الشرق والغرب. ومنه أجرؤ على الاعتقاد بأن الكلام الذي سيقرؤه القارئ في هذه الترجمة لا تختلف صحته هنا عنها في المكان الذي ألقيت فيه هذه المحاضرات وهو ما يضاف قطعا، إلى دواعي شكري للدكتورة نيفين

مصطفى صفوان

باريس ٢٠٠٩

الدرس الأول

أفضل وسيلة للبدء- فى اعتقادى- هى عرض مفهومى للعمل الذى سأقوم به هذا الأسبوع، وإن كان هناك تقصير منى أو نقاط تحبون إضافتها فلكم ماتشاؤون. وهنا سوف أتكيف تبعًا لمقترحاتكم.

وأعتقد أن عمل فرويد يختصر فى نظرية تتضمن العديد من المتناقضات، وإذا تركت أحد هذه المتناقضات بلا تصويب ، فهذا يكفى لدحض النظرية، وسأحدد لكم متناقضين اثنين: التناقض الأول: اعتبار الطرح شرطًا لا مناص منه فى التحليل النفسى، بحيث يعتبر التحليل النفسى بمثابة تحليل للطرح، ورغما عن ذلك ، فإنه يعتبر من أكبر العوائق أمام ذلك التحليل، وبناء على ذلك، فكيف يمكن للطرح أن يكون الشرط لتقدم العلاج وهو نفسه العائق؟! والتناقض الثانى: ويشمل الأنا إذ بدأ فرويد تعريفه على أنه "وظيفة للواقع Reality function وهذا أمر هام بالنسبة لفرويد بالقياس إلى الرغبات، وتبعًا لفرويد ، فإن الرغبات تميل إلى هلوسة موضوعاتها، بمعنى أنها تجد إشباعاتها فى موضوعات ليس لها علاقة بالواقع، ومن ثم فالوظيفة النفسية يمكن اختزالها إلى الهلوسة أو إلى الحالات الذهانية، ومع اكتشاف فرويد للنرجسية فقد ظل يرى الأنا عاملاً يجعلنى أخطئ فيما أنا عليه، أو فيما أرغبه ومن هنا: كيف يمكن لنفس العامل أن يكون هاديًا إلى الواقع ومصدراً للإيهام فى ذات الوقت؟

وإضافة إلى التناقضين السابقين فى نظريته، نجد أن خبرة فرويد دفعته إلى اكتشاف بعض الحقائق المثيرة للدهشة، مما يجعلنا نصفها بأنها غير طبيعية ويصعب تفسيرها، ونشير هنا إلى عقدة "الخصاء ولنا أن نتساءل كيف يمكن للطفل الذكر أن يشعر بعدم الأمان بالقياس إلى قضيبه؟ ومن أين يأتيه التهديد بالخصاء؟ وكيف تشعر

الفتاة بنقصان القضيب؟ ولعل هذا أمر غير منطقى كقولنا إن هناك عينا ثالثة أو حاسة سادسة، ولنا أن نعلم أن خبرة التحليل النفسى أدت إلى اكتشاف ظاهرتين مختلفتين هما: الأولى: ظاهرة الحب الطرحى ، وهو يتسم بالأمثلة(*) التى هى جوهر كل حب، حيث يدرك موضوع الحب على أنه كامل ليس بمعنى الوحدة أو الاتحاد فحسب بل بمعنى أنه يمتلك كل ماينقصنى. الثانية: ظاهرة الرغبات. ومن جانب فإننا نلاحظ فى الخبرة ذاتها عدداً من الرغبات يمكن تقييمها فيما نسميه بالموضوع الجزئى- فمى وشرجى- ويمكن إضافة النظرة والصوت، ولكن النقطة الأساسية هنا هى طبيعة الموضوعات الجزئية، بحيث لا يسهل إدراك العلاقة بين الظاهرتين "الحب والرغبة" أو بمعنى آخر بين الموضوع الجزئى والموضوع الكلى.

ويعد لاكان بحسب علمى، المحلل الوحيد الذى قام بجهد واف ومتواصل لمواجهة هذه المشكلات.

وبعد، فإن ما أفكر به خلال هذا الأسبوع هو إعطاؤكم إجابات عن أسئلة قد يطرحها محلل يأخذ فى اعتباره أعمال لا كان **هل توافقون على ما أريد القيام به؟**

أما النقطة الأولى فى عمل لاكان فيشير فيها إلى تعريف جديد للخبرة التحليلية فهو يعرفها بخبرة الخطاب، ويقدم معادلة "اللاشعور مبنى كاللغة"، وهى جملة تكررت- وإن كانت غير مفهومة - ورغم أن المحللين النفسيين حللوا موضوعات أخرى مثل الشخصية، وديناميات اللاشعور، فهم يرون أن الكلام لا قيمه له إلا إذا عبَّر عن واقع أو آخر. وبطبيعة الحال التعريف السابق للتحليل النفسى بوصفه العلاج بالكلام(**)، ولكن الكلام اعتبر هنا تعبيرا عن واقع خارج الكلام ، ولم يفكر أحد من

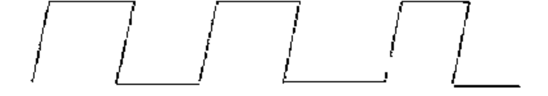
(*) أمثلة: ترجمة idealization ميكانزم يتمثل فى تضخيم الجوانب الطيبة للموضوعات الداخلية والخارجية.

(**) العلاج بالكلام اصطلاح أطلقته أنا أوه المريضة على علاجها ثم اختفاء أعراض مرضها بالكلام.

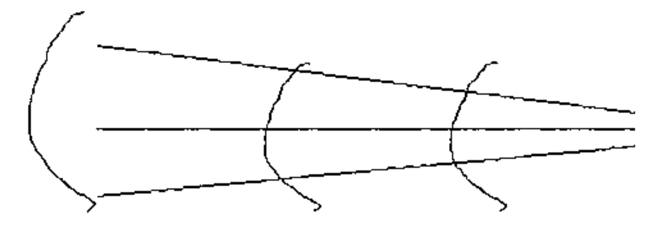
قبل لاكان فى **تحديد الذات داخل فعل الكلام**، ويمكنك أن تجد التحليل النفسى فى كونه أمر يتعلق بالكلام ، فى كتاب فرويد "دراسات فى الهيستيريا" كرس فى الفصل الأخير منه "العلاج النفسى للهيستيريا" ثلاث أو أربع صفحات يصف فيها استعداد المادة النفسية إلى أن تقال أثناء الجلسة العلاجية جلسة التحليل النفسى.

ويقول لاكان: إن الخطاب يُمثل فى عدة خطوط متوازية ، وهو أشبه بالنوتة الموسيقية فهو لا يمثل فى خط واحد:

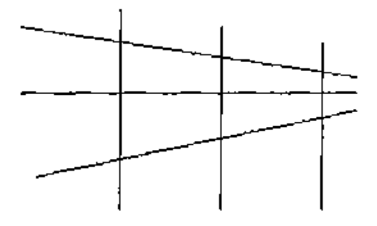
وتمثل هذه الخطوط ثيمات مثل (الأحلام- الذكريات- وصف المشاعر والأحاسيس)، والكلمات التى تكون أحيانا أفعالا- كما يقول أوستين **Austin** مثل الاعتذار أو الطلب. أما الخطاب العيانى الذى ينطق به المريض، لا يمكن أن يمثل فى خطوط مستقيمة، وذلك لأن شخصًا ما ، قد يكون فى سبيله للحديث عن ذكرى ، فيعتقد أنها حلم ثم يعبر عنها تعبيرا لغويًا يجره للشعور بعرض جسدى، ومن هنا فإن الخطاب الملموس يمثل بحركة متعرجة كحركة الحصان فى لعبة الشطرنج، كما يراها فرويد:



ومن هنا فالخط الواحد ليس بكاف لإعطاء صورة شاملة عن الخطاب الواقعى؛ لأنه من الممكن أن يبدأ المريض التخييل(*) ثم بالحلم ثم بالتعبير اللغوى ثم بمطلب يمليه أو بالاعتذار وهكذا، والصورة الأشمل لما يحدث فى الجلسة عبارة عن: خطوط متعرجة متقاطعة، وهنا بالطبع ليس هناك تخطيط يمكنه إعطاء صوره لبناء الخطاب، ولكن الخطوط الخاصة بالخطاب تميل إلى التلاقى عند نقطة ما - كما يراها فرويد- ونستطيع القول إن الخطاب حر طليق دون هدف مستمر واضح، والخبرة التحليلية النفسية تبرهن على التوجه بقصدية عمياء نحو **النواة الباثولوجية** ، ويحيط بتلك النواة - كما يصفها فرويد- طبقات من الذكريات وتتابع ابتداء من أكثرها حداثة إلى أقدمها حتى يمكنك أن تمثلها بدوائر من الذكريات كهذه:



والنقطة المميزة تبعًا لفرويد هى تقابل خطوط الخطاب التى تتحرك بلا معرفة نحو النواة الباثولوجية مع خطوط طولية تمثل المقاومة.



(*) التخييل fantasy تترجم إلى هوام فى تراجم أخرى

مما يعني أن الخطاب في طريق تقدمه يصطدم بظاهرة المقاومة، ومن أكثر الأمثلة تداولاً لهذه الظاهرة: هو وعي المريض بوجودك إذ يقول: "آه أشعر أنك هنا" أو أتساءل أما زلت بالحجرة" "أتساءل أما زلت تسمعني ربما يفكر فيما حوله فما الذي يعنيه ذلك؟

إنه يعني- كما يرى لاكان – أن الخطاب يمارس وظيفته في الكشف Revelation أن الأنا يتبدى ويتضمن علاقة الأنا- أنت ، وهكذا بتدخل الأنا في الخطاب ، فإنه يمثل بوصفه خطوطًا عرضية وهو العامل الأساسي في المقاومة، وهو ما يجعلنا نعتبر أن الأنا يعارض الكشف عن الحقيقة.

ونجد لاكان قد تشبث بهذا التمثل لحركة الخطاب – أثناء الجلسة التحليلية النفسية – كما تشبث بتعريف الأنا وهو عامل للمقاومة ضد الخطاب وبنفس القدر تشبث بمفهوم الأنا كعامل نرجسي، وهكذا حل لاكان التناقض بين مفهومي فرويد باختياره أحد الاحتمالين، إذ اختار الأنا بوصفه موضوعا نرجسيًا لا وظيفة الواقع لم كان أميل إلى هذا الاختيار؟

النقطة الأولى هي أن لاكان كان مقتنعًا على الدوام بأن الموضوع الإنساني لا يمكن أن يتطابق مع موضوع المعرفة، وفكرة موضوع المعرفة" نتجت عن تقليد قديم في الفكر الغربي. بالنسبه للاكان هناك موضوع أكثر بدائية: موضوع الرغبة، ومن أسباب اعتقاده في الرغبة هو أنه كان طبيبًا نفسيًا قد اختبر موضوع الحصر، أو فقدان الشعور بالإنية depresonalization أو الإحساس بالغرابة أو حالات سبق الرؤية deja vu

والرغبة موضوع يصعب السيطرة عليه، مثلما تسيطر على حاسبوك أو شوكتك أو ملعقتك أو أي موضوع آخر معتاد، فهو موضوع يجعلك بلا أسلحة، وحتى في خبرتنا اليومية عادةً تخبر الرغبة بوصفها ندما أو حنينًا إلى الماضي ، أو يمكن تعريفها على أنها مالا أعرفه" أو "لم أعنِ ذلك أو لا أعرف مالا أريده" أو "كنت أريد شيئا آخر

وعلى هذا فإن موضوع الرغبة فى العادة يُخبر على الدوام بوصفه الشيء الآخر. ومن وجهة النظر هذه ليس غريبا أن يقترب لاكان من هيجل؛ لأن هيجل عارض الموضوع بوصفه موضوعا للمعرفة، وكان أول من قدم موضوع الرغبة لا بوصفه موضوعا طبيعيًا، ولكن بوصفه موضوعا قائم (خلال وساطة) الآخر: بالنسبه لهيجل ، فإن الرجل يرغب ما يمتلكه الآخر وبطبيعة الحال فهذه خبرة معتادة، وهو ما وصل إليه العلماء النفسيون للأطفال بخاصة فى سن معينة من ثمانية عشر شهراً حتى ثلاث سنوات وأُطلق عليها اسم "العبرية"(*) transitivisim ويمكنك أن ترى فتاة ترى فتاة تأكل الشيكولاتة فتضربها، ثم تدعى أن الأخيرة هى التى ضربتها إنها لا تكذب فهناك تناقض جوهرى يحكم منطقها؛ لأن ما أعطته تعيشه كما لو كانت قد تلقته بوصفه علاقة مرئية، مما يعنى وجود تناقض فى كيفية معايشة الخبرة. فى الوقت نفسه الإيجابية تعاش سلبية، والسلبية تعاش بوصفها إيجابية ، ومثال ذلك الفتاة التى ترى نفسها فى أعين الآخر وتعيشه كما لو كانت هى نفسها هناك فى أعين الآخر الذى يراها

وهنا يمكن القول بأن الأنا يخطئ ذاته؛ إذ يجد ذاته حينما تغيب فى مكانين فى نفس الآن، ولاشك أن هذا هو أول تناول للرغبة لا بوصفها رغبة طبيعية أو مرتبطة بنقصان واقعى مثل العطش والجوع. أما أكثر أشكال هذا النوع من المجهلة خطراً هو "الروح البديعة" عند هيجل، وهو وصف لمكانة الذات التى تحتج على اضطراب العالم بدلا من الاعتراف باضطرابها، والاحتجاج يعنى عدم الاعتراف باضطرابها، وهذا يوازى الإسقاط، وتنتمى جذور الإسقاط بالبناء الاغترابى للأنا وهو ما طرحه لاكان فى أطروحته للدكتوراه عن عرض لحالة سيدة تطمح فى أن تكون كاتبة، ثم طورت علاقة متخيلة بممثلة مشهورة، وذلك بوصفها مثالية الأنا، وكما هو متوقع فى مثل هذه

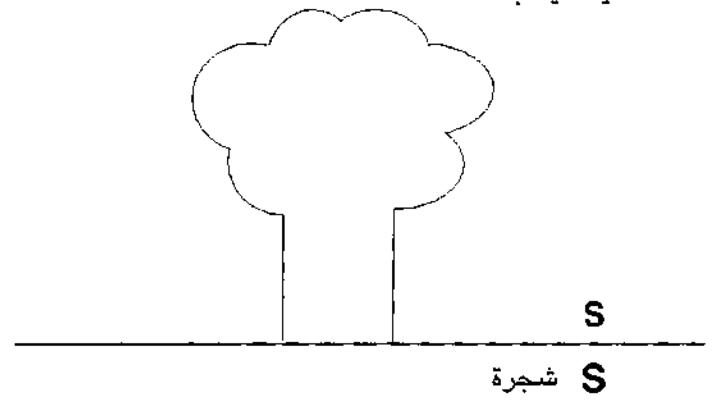
(*) العبرية: مصطلح يشير إلى غياب الحدود بين الذات والآخر وأن الذات تستشعر أن ما يحدث للآخر إنما يحدث لها والعكس صحيح.

العلاقات تجد منصرفا فى فعل ما حقا لقد انتهى الأمر بفعل عدوانى أدى بهذه السيدة لإيداعها بمستشفى، وهذا مثل لما أطلق عليه هيجل الروح البديعة.

ولك أن تتساءل عما إذا كان الأنا نرجسيا ويغيب لديه وظيفة الواقع؟ وبذلك لم لا نكون كلنا ذهانيين أو أرواحا بديعة، والإجابة هى أن ما يهمنا فى التحليل النفسى هى الحقيقة لا الواقع، إن ما ندركه بالحواس لايستطيع الذهانى إدراكه، والتحليل النفسى لايهتم بالإحساس بالواقع، وإنما يهتم بالحقيقة، وبالتالى فإذا كانت الأنا عاملاً للجهالة، إذن لابد أن يكون هناك شخص ما يعرف الحقيقة بحيث يصحح علاقة ما بها، وهكذا إذا ما رجعنا إلى سكيما المقاومة نجدنا متجهين نحو فنيات جديدة فى التفسير، إذا كانت المقاومة بمثابة مقياس التقدم لخطاب المريض؛ أى الاقتراب من الحقيقة ، فإنك لن تحتاج لأن تقول للمريض على سبيل المثال، إنه يقاوم تفسيراتك، بل بالأحرى يكون من الأفضل أن نقول له إن إعراضه قد قويت وهى حقيقة قد اعتبرها فرويد برهانا على أن العرض له الكلمة العليا، أو أن أفكاره قد انقطعت فى نفس اللحظة التى كان يتحدث فيها عن هذا الموضوع، أو ذاك. حينما اقترح لاكان هذه الطريقة فى تناول المقاومة كان من الصعب الاعتراف بها من قبل المحللين الممارسين؛ لأن هيبة المحلل مستمدة من معرفته بالحقيقة وقناعته بها أو قدرته على عرضها للمريض. إلا أن لاكان أراد ألا يتمسك المحللون الممارسون بمثل هذا الموقف، واعتبر أن عليهم التنازل عنه وهو أمر صعب على المحللين، لذلك فهذا المقترح لم يُعترف به مثلما هو معترف به الآن، الأمر الذى يجرنا إلى التساؤل عن مكان الحقيقة"، فعندما تسمع فلتة لسانية تفصح عن بعض الحقيقة تدرك وجودها بداخلك (لأنك قد لاحظتها) أو حتى تجد لها مكانًا فى الذات التى تعرضت لخيانة الدوال. والأدق من الناحية الوصفية القول بأن الحقيقة موجودة فى الآخر الكبير؛ لأن الأمر هنا نوع مختلف من الآخرية ليس له علاقة بالرؤية ولا الصورة ولا المطابقة، وإنما له علاقة باللغة أو بالذات المتكلمة، وهذه النقطة صعبة التمثيل، ولكن متى اعتبر التحليل النفسى علاجا بالكلام، فإنه ليس من الضرورى الذهاب خارج الكلام، وعليك وصف الأنا كعامل للمقاومة. وإذا

أردت تعريف الأنا النرجسي فيجب أن تسلم في الكلام بأنك بصدد الحقيقة، وليس الواقع، وأن تسلم أيضا بأن الحقيقة ليست ملكا للأنا، وإنما تكمن في مكان الآخر الكبير.

ويمكننا التقدم إلى نقطة أخرى؛ وهي أن التصحيح ليس من عمل المحلل، وأنه إذا كانت الحقيقة تدل على ذاتها في مكان آخر غير الأنا على سبيل المثال، الهفوات أو التفعيل أو أشياء مثيلة، فإن الواقع للدلالة على ما هو صحيح أو ما هو خاطئ ، فإن ظهور أحدهما يماثل ظهور الآخر يصبح أمرا مستحيلا عندما تكون اللغة وحدات يمكن تسميتها بالدوال، وتكون لكل وحدة معنى واحد، إذا كانت الكلمات مرتبطة بمعانيها، وإذا كانت خالية من أي لبس، أعني إذا كانت غير قابلة لأي إيهام. بناء على ذلك لن يكون هناك أي حرية للدلالة على الحقيقة عندما ننطق بالزور ، ومثال ذلك نكتة يمكن استخدامها بكلمة بمعناها المعتاد ويفهمها الآخر بمعنى مختلف وغير متوقع. وهذا الأمر يعطي الحقيقة الحرية في التعبير عن نفسها دون اعتماد على القصدية؛ وهي القدرة على عدم اعتمادية الدال بالقياس إلى المدلول، وهذا هو المعنى الشهير لدى سوسير **Saussure** حينما يكتب:



لديك S الدال شجرة، المدلول وهو ذات الشجرة، أما الخط فيعرف بخط الاتحاد، وعند لاكان يعرف بالخط الفاصل **للتفرقة** بين المستويين ، ورغم أن المستويين

منفصلان، فإن هذا لا يعنى أنه لا توجد علاقة بينهما، فهناك بناء على سياق الكلمة نفسها، علاقة ولكنها ليست علاقة الشجرة نبحث عن كلمة ، ولكن الكلمة تستخدم استخدامات مختلفة وتحمل مدلولات مختلفة.

أما بالنسبة لعالم المنطق جوكلوب فريج فإنه يرى أن معنى الجملة يتحدد نتيجة لجماع الكلمات فى حين أن ريتشارد عالم الخطابة يرى أن معنى الجملة يبرز حينما نصل إلى نهايتها وهنا نفهم البداية؛ لأن فى كل جملة نجد عنصراً يتخذ معناه فى حركة تراجعية، وهى نفس فكرة "لاكان" التى دافع عنها حيث إنه يتفق مع علماء البلاغة فى ذلك مع ريتشاردز" ويختلف مع جوكلوب فريج عالم المنطق.

وتفهم هذه العلاقة بأنها عبور الفاصل بين الدال والمدلول بالإضافة إلى مجىء الحقيقة بشكل مفاجئ مما يشير إلى نوع آخر من المقاومات يختلف عن مقاومة الأنا وربما تكون مقاومة بمعنى صعوبة فى قول الحقيقة، والحقيقة لا تقال بحماقة؛ لأنها تدل دوما على ذاتها بطريق معوج، وهنا يمكنك أن تسأل حقيقة ماذا؟

إذا أخذنا فى الاعتبار كل ما قد قيل حتى الآن ، فإن الإجابة لا تترك أى شك فالحقيقة حقيقة الرغبة اللاشعورية.

أما الصعوبة التي ألمحنا إليها تكمن فى طبيعة الرغبة(*) التى أطلق عليها "لاكان" نصف القول mi dire يُستدل عليها بالتلميح. ولكن ما الذى يمكن أن نقوله عن الرغبة اللاشعورية سأترك هذا السؤال للجلسة التالية، وأرجو أن أكون قد أوضحت الآن علاقة الرغبة اللاشعورية بالدال بما هو كذلك. وإن كان هناك شىء ما غير واضح فسوف نتناوله فى سياق الإجابة عن الأسئلة.

سؤال: أنا مندهش يا سيد صفوان لرجوعك على الدوام إلى فرويد لتلخيص ما يبدو لاكانيًا؛ فقد تناولت مشكلة الأنا ورجعت إلى كتاب قديم(**) ، ثم تأتنس بسوسير

(*) تولد الرغبة من البون الفاصل بين الحاجة والطلب فهى غير قابلة لأن ترد إلى الحاجة المحضة ، لأنها ليست فى جوهرها علاقة بموضوع واقعى مستقل عن الشخص ، بل هى علاقة مع الهوام ، كما أنها غير قابلة لأن ترد إلى الطلب بمقدار ما ترمى إلى فرض ذاتها دون أخذ فى الحسبان لغة الآخر ولا وعيه، إنما هى تتطلب اعترافه المطلق بها. المترجم (المصدر معجم مصطلحات التحليل النفسى)

(**) المقصود هنا كتاب دراسات فى الهيستيريا

والفاصل، وكيف يكون هـذا فى العيادة ويبدو الأمر جديداً مرة أخرى، ولن أزيد على ما قلته أى شىء.

– آسف لأننى لم أحدد الصفحات التى عرض فيها فرويد لاستعداد المادة النفسية فى التعبير عن نفسها فى الخطاب، لكنك ستجدها فى الفصل الأخير من **كتاب دراسات فى الهيستيريا**(*) وأضيف بأن المتناقضات التى ألمحت إليها يستشعرها الفرد فى بداية العمل لذا نتساءل كيف يمكن للأنا أن يكون مصدرا للجهالة والواقع فى آن واحد؟

ومثال من واقع خبرتى: هناك مريض لم ير والده منذ كان فى الثالثة، ورغم ذلك، فإن المادة بجلها تتجه نحو حصوله على أنا أعلى قاس، فصارت تصرفاته تشير إلى طابع عقابى– ذاتى فكان مستهدفا للحوادث، كما عانى من أشكال القسو، وكل الرموز فى الأحلام إشارات بقسوة هذه الوظيفة. والأنا الأعلى تبعا للنظرية يعد وريثا للأب، فكيف يمكن للمريض أن يمتلك مثل هذا الأنا الأعلى القاسى، بينما اختفى والده وهو ما يزال صغيرا؟! لايمكن للفرد أن يعمل بينما تتراكم مثل هذه المفارقات والمتناقضات، وهنا يأتى دور لاكان؛ إذ فرق بين الأب الواقعى، والأب المتخيل ، والأب الرمزى، الأمر الذى يمنحنا أملا للوصول إلى حلول (لتناقضات فرويد)، وهو ما أدى إلى حدوث طرح على لاكان من قبل تلاميذه؛لأنه وعدهم بمعرفة منسقة ولها مصداقية، والمصداقية ليست اعتقاداً، بل ثقة عليك باختبارها وأقول هذا كصدى لتعليقك والعلاقة بـ "لاكان" علاقة بمحلل جعل مهمته الإجابة عن المشكلات التى تركها فرويد فى أعماله، وكل المحللين الذين يبدأون بـ لاكان لايستطيعون رؤية العلاقات؛ لأن خطابه أدى إلى استحداث دوال جديدة خلقت مشكلات جديدة سيطرت على انتباهم.

(*) دراسات فى الهيستيريا تأليف فرويد وبروير نشر ١٨٩٦

سؤال   ما هذه المشكلات الجديدة ؟

ليست هناك متناقضات، بل مشكلات خطيرة مثال ذلك "موضوع الرغبة" الذى سنطلق عليه الموضوع وعلاقته بالتمثل، هل يوجد الموضوع خارج كل تمثل(*) أم يمكن تمثله؟ يمكن أن يكون هناك على سبيل المثال تمثل لتمثل ، كما هو موجود فى لوحة فلاسكويز Velasquez الذى يمثل فيها ذاته فى فعل تمثل، هذه اللوحة فى حد ذاتها تمثل.

لكن هل يوجد موضوع الرغبة على هذا المستوى؟ لا شك أنها مشكلة صعبة؛ لأن لاكان لم يكن حاسما فى إجابته عنها

وهنا مشكلات تؤخذ فى الاعتبار رغم أنها ليست بمتناقضات فى رأيى هى صعاب أو نقاط غامضة، ولكن بالقياس إلى الرغبة، فإن الرغبة تمثل نوعا من النقصان الذى يختلف عن نقصان الحاجة؛ لأن الرغبة لا تتطابق مع الحاجة ومن ثم فإن موضوعها ليس موضوع أن امتلك، كما هو الحالة بالنسبه لموضوعات الحاجة وهذا يدفعنا إلى الحديث عن النقصان إلى **مستوى الوجود**، وهنا تتدخل فكرة الخصاء بكل ما تحمله من تعقيدات.

سؤال: ماذا يقصد لاكان بفكرة الوجود؟ بالنسبة لى لا تبدو فكرة الوجود مستخدمة بنفس الطريقة على الدوام.

– النقصان فى الوجود يحدث التمثل ، فهناك الإحساس بالقضيب بوصفه نقصانًا وهو ما يصعب فهمه على مستوى الامتلاك، ويكون عليك أن تستحدث منظور الوجود. والسؤال هو ما الشكل الذى يتخذه النقصان؟ وكيف يستحدث؟ وهذه المشكلة تعتمد على عدد كبير من المشكلات المرتبطة بعضها ببعض.

(*) وتمثل : representation تصور عقلى للغريزة.

سؤال هل يمكنك اقتفاء أثر المفهوم بعيدا عن الفنومولوجيا وصولا لاستخدام لاكان الخاص بالوجود؟

إن فكرة الوجود ترتبط بفكرة الوحدوية خيثيتس التى ترتبط بدورها بحقيقة ما يمكن اطلاق عليه السمة(*)، وإذا استحضرت سمة عليك أن تستحضر الآخرى، فالسمة متكررة بالضرورة ، وهنا فإن الفرق والمطابقة يتساويان ، كما أن المطابقة تتساوى مع التفرقة وهذا تعريف الدال. على أنه يعطى بناءه للدال الذى يُعرف بدوره من خلال تفرقته، ولذا فإن فكرة الوجود يمكن تفسيرها بواسطة فكرة التأمل الخاصة بالسمة التى تعطى بناءها للدال الذى يعرف بواسطة تفرقته. وكل ذلك علينا أن نتناوله بدقة أكثر، ولكن الفكرة هنا أنها لا ترتبط بالظاهرة، ولكنها ترتبط ببناء الدال بوصفه تفرقة.

سؤال: لم لاتستخدم تعريف الوحدوى؟

– لا. الرجل البدائى عندما يرى فأرًا يقول: هاهو سيدى الميت وقد رجع على شكل فأر.

وهنا لا توجد مطابقة على المستوى الكيفى لاختلاف الشيئين، يمكنك فقط القول بأنهما نفس الشيء، فالأمر أمر تلاعب أو موارة أو تمفصل الدوال. وهنا فالمطابقة تعريف للتفرقة، والتفرقة تعريف للمطابقة. وكما تحدثت عن الوجود ستجدك تتحدث عن المطابقة والحديث عن المطابقة يفترض الحديث عن التفرقة، وعلى المرء أن يوفق النقاط الثلاث معًا.

(*) كلمة السمة هنا مأخوذة عن قول فرويد فى مقاله عن التوحد أو التماهى إذ ينص على أن التوحد بالآخر أو الشبيه ينبني على اقتباس سمة فريدة من سماته كطريقته في المشي أو الملبس مثلا. هذه السمة الفريدة أو الأحادية قد قرب لاكان بينها وبين العلاقات المنقوشة على عظام من عصر ماقبل التاريخ //////..... كل نقشة أو علامة من هذه وإن دلت على فريسة تم اصطيادها لا تختلف عن الأخريات إلا من حيث كونها ليست إياها أو من حيث هي اختلاف محض– وهو مايشير إلى قول سوسير جميع اللغة اختلاف" "المؤلف"

سؤال: هل هناك وقت للحديث عن الأخلاقيات؟

نعم. ولكن في وقت لاحق، أما الآن فيمكننا الإشارة إلى الحديث عن رغبة المحلل ليس بحديث ميتافيزيقي، وإنما يتناول مشكلة تشريعية؛ فقد أرسل رجل إنجليزي رسالة إلى جريدة The London review of books يُفترض أنه وصف لتحليله على يد مسعود خان، ولكنه مجرد وصف لاستغلال رجل لرجل بشكل فظ، وكان لنشر هذه الرسالة أصداء عدة، منها استجابة رئيس الجمعية البريطانية الذي رأى أن خان أساء تدبير العلاج؛ لأنه عاني من عدم التوازن في المرحلة الأخيرة من حياته، ولكن المريض- صاحب الشكوى خضع لعلاج ثان ناجح في أمريكا، وبذلك فلا ضرر ولا ضرار.

وهناك قارئ آخر كان رئيس العمل العلاجي بإنجلترا، كتب رداً يفيد حدوث هذه الأشياء أحياناً ولكن هناك تحقيقاً شاملاً قائماً، وهم في طريقهم لوضع قواعد جديدة لوقف هذا النوع من الإساءة، بحيث لا يتكرر نهائيا. وهناك ثالث ليس بمحلل نفسي، كتب يقول: لم تدافعون عن التحليل النفسي بأي ثمن؟ لم لا تعترفون بأن التحليل النفسي فاشل؟ إن موقف "لاكان يشبه الرجل الثالث مع الفرق الكبير بين موقفه وموقف "توماس زاز zaz "و "إيداما كالبين Macalpine "فزاز لم ير الموقف بوصفه مصادفة مترتبة على مضاد الطرح، وإنما أرجع الأمر إلى عيب يضرب في نسيج الموقف التحليلي، من حيث إنه يضع المريض في موقف الخاضع القابل للإيحاء. وهكذا ترك "زاز" التحليل النفسي وبالمثل فعلت ماكالبين وموقف "لاكان" يختلف كليا عن الموقفين السابقين، إذ تساءل لم نقيم دعوة ضد مضاد الطرح؟ فالتحليل النفسي يحدث تغييرا في الاقتصاد الليبدي للمريض. والليبدو يعني طاقة الرغبة، ولذا فإن تحليلاً اثنينيًا يؤدي إلى تعديل ليبدي قوى الرغبة في أن تحضن مريضك على سبيل المثال، فما بالك بالرغبة في استغلاله. وبالقياس إلى "لاكان" فمضاد الطرح ما هو إلا ذريعة لتجنب الرقيق لهذا النوع من التعديل الاقتصادي في الليبدو الذي يهيئ الفرد لأن يكون محللا نفسيا وبالتالي فإن مسألة رغبة المحلل فرضت نفسها في مقدمة تعاليم "لاكان" بفضل عمله النقدي لفكرة مضاد الطرح، وهي وجهة نظر تختلف عن مجرد إيجاد حل قانوني، وهو ما يشير إلى تفكير "لاكان حول مسألة الأخلاقيات على أنها أخلاقيات الرغبة، والذي انطلق من مشكلة خطيرة طالما جاهدت المؤسسات التحليلية في التملص منها.

سؤال: يبدو وكأن إجابة لاكان لم تكن فعالة ؟

لا يمكنك القول بأن رغبة المحلل هى الرغبة فى هذا أو ذاك، فعند دراستك أشكال النقصان. مثل (العوز- الإحباط- الخصاء) يمكنك تحديد رغبة المحلل فى نطاق النقصان لقد تحدثت عن طبيعة الوساطة الخاصة بالرغبة عند هيجل، ولكن أشرت أيضا بأن هناك نوعًا آخر من الوساطة بسبب وجود نوع آخر من الآخر هو "الآخر الكبير وهو ليس مجرد شخص آخر أو آخر صغير، فالفرق بين الاثنين ينتج عنه شكل آخر من الوساطة. ولايمكنك أن تقول ما موضوع الرغبة ، لكن يمكنك القول بأن مصدر المشكلة يكمن فى الفجوة القائمة بين وضع المؤسسات وبين التحليل النفسى، وهل توجُّه المؤسسات يخلق أزمة، لأنهم يزعمون بأن لديهم ما يقدمونه؟ هذه فكرة "لاكان" فى إلغاء الدرجات؛ لأنه لم يستخدم الدرجات، إنما استحدث فكرة المرورla passe التى تحدث أثناء التحليل، وهى أن الذات يتحدد لها مكان داخل خطابها وداخل الكلام، ولكنها فكرة غريبة على المؤسسات بالنسبة للعلوم الإنسانية، فمن يدخل المؤسسة يهدف الحصول على مهنة تتضمن مثلا أعلى أو رئيسا، وهى مكانة يتخذها فى يوم من الأيام؛ ومن ثم ففى كل المؤسسات توجد حاجة للتوقع واتخاذ مثاليات تؤدى إلى الهيراركى ومن ثم فكرة الدرجات. فما الذى أراد "لاكان" القيام به؟ ولم فشلت مؤسسته؟ وما دلالة هذا الفشل؟ هذه أسئلة من نوع آخر، قد يكون علينا تناولها فى فرصة أخرى، إلا أن الفكرة هى إنشاء مؤسسة بلا تدرج وبلا هيراركى، بنفس القدر الذى يكون هناك نتيجة تنتج عن التحليل النفسى

فما نتيجة التحليل النفسى؟ النقطة الأساسية التى تأخذها فى اعتبارك هى محك الفاعلية الذى يتساءل: هل التحليل قادر على وقف التكرار أم لا؟ يقول فرويد: إن التكرار سمة أساسية لكل الدفعات ، وإذا أوقفت التكرار هل هذا يعنى أنك توقف الدافع؟ وما مستقبل الدفعات بعد انتهاء التحليل النفسى؟ وما الذى يحدث بالنسبة لدافع مثل الاجتماعية مثلا؟ وهل تجد إشباعًا فى الانتماء إلى حزب سياسى ما؟ والذى

يعنيه أولادك بالنسبة لك حينما يتوقفون عن كونهم **موضوعات صغيرة**، وما مستقبل الدفعات بعد التحليل النفسي أو حتى أثناء التحليل؟ فالنتيجة بالتالي تعتمد على ما يتعلمه المريض فيما يتعلق بتعديل اقتصاديات الليبدو الخاص به، وهو السبب الأساسي لاستحداث فكرة (المرور) بدلا من التدرج.

سؤال: ألم يجب لاكان عن مصير الدافع بعد انتهاء التحليل؟

– لا ولكن النقطة الخاصة بالخبرة المسماة بالمرور كانت تهدف إلى إلقاء الضوء على السؤال الخاص بنتيجة التحليل فيما يتعلق بالدفعات.

سؤال رجوعاً إلى شيء معلوم، هل سلكت في تناغم مع رغبتك؟

– تحتاج كل رغبة إلى إعادة تشكيل ، بحيث كل رغبة هي تفسيرها، ولذا فإن أخلاقيات التحليل تتضمن السؤال: هل ظللت تفسر ما أردت ؟ أليست هذه هي الإجابة عن أخلاقيات التحليل؟ أليس من الضروري البحث عن تفسير جديد؛ لأنه لا يمكنك تسمية موضوع الكره أو الحب، إن فكرة الرغبة – بوصفها تفسير– تأتي كنوع آخر من الوساطة حينما يكون الآخر صغيرا فالآخر يمكنه امتلاك قطعة شيكولاته أو منزل أو صديقة. لأن ترغب في الشيء نفسه الذي يمتلكه ، هذه هي الوساطة بالمعنى الهيجلي، والآخر لا يمكن أن نعرّفه بوصفه أنا آخر، ولكن بوصفه ذات أخرى آنذاك، فإن رغبته تفلت منك.

ومهما يقول فلن تتأكد أبداً من أنه يقول الحقيقة، فهناك سؤال مطروح على الدوام في العلاقة مع الشبيه وهو: لم يقول هذا أو ذاك، وإذا عرّفت رغبته بتفسيرك لها تكون تحت رحمتك، وعلى هذا النحو، فإن الرغبة هي تفسير لرغبة الآخر الكبير.

وحينما تسمع مريضاً يستخدم الاستعارات مثل يسرق أو "يتلف" أو "يبتلع فإن مثل هذه الاستعارات قد تعطيك فكرة عن الطبيعة الفمية لتفسيرها لرغبة الآخر الكبير، ولكنك إذا قلت له هذا التفسير هو تفسير الآخر الكبير، فإن هذا الآخر الكبير يفقد حقيقته مقابل مايمكنك أن تطلق عليه اسم المعرفة البرانوية واليقين البرانوى، فإنك تستمد يقينك هنا من تفسيرك لرغبة الآخر الكبير. إنك لمتأكد مما يرغبه الآخر الكبير.

وهذا هو الوضع الأول للرغبة، وليس من السهل الخروج من هذا الوضع بكل ما يتضمنه ذلك من يقين ، ويمكنك أن تجد مثالا للنقطة الأساسية فى الأحلام، فالحلم يشبع رغبة بالمعنى التخييلى، ولكن السؤال ما الرغبة خارج الحلم؟ هل البقاء فى التخييل أم اجتياز التخييل؟ فالحلم قد يشبع رغبة بمعنى تحقيق التخييل، ولكن التخييل يتسم بأنه حمل. ورغم أن التخييل له ميزة منحك اليقين إلا أنه حمل وعلى أقل تقدير فهو حمل تصورك أن الآخر الكبير الذى تضفى عليه رغبة فمية هى رغبة ابتلاعك، ولذا فهو مصدر لليقين وفى الوقت نفسه مصدر للحصر من أن يتحقق هذا. ويمكنك حتى أن تقول بقدر من التصرف إن الرغبة هى المعرفة بالقدر الذى تكوِّن به تفسيرًا، ولكنها معرفة ينبغى التخلى عنها أخلاقيًا؛ لأنها تحمل فى طياتها جهالة. ومن حيث إن أى تفسير لرغبة الآخر الكبير تدفعه لأن يفقد حقيقته بوصفه مجهولاً

سؤال: هل يمكنك الاستطراد من فضلك؟

– يمكن القول: إن الرغبة بمثابة تفسير، وهى تمنح يقينا خادعًا لما يرغبه الآخر الكبير منك، فهو يعطيك نوعًا من المعرفة تستحق أن توصف بأنها برانوية، ومثال ذلك: إذا تناولت العلاقة بين الرغبة والحلم، فإن الحلم يحقق الرغبة بمعنى أنه يمنحك أمنيتك ورغبتك فى قتل أخيك، ويمكنك أن تحقق هذه الأمنية فى حلم يبدو فيه أخوك ميتا، لكن خارج الحلم هناك رغبة قتل أخيك أو التخلص من الرغبة فى قتله هذا هو كل ما فى الأمر. فيما يتعلق بالأخلاقيات يمكنك القول بأن الذات يُطلب منها أن تحتفظ أخلاقيا ببعض الغموض للآخر الكبير؛ أعنى الهروب من كل شفافية تمنحها لك المرآة ، وبكلمات أخرى يمكن القول بأنه مطلوب من الذات أن توقف كل ادعاء بالمعرفة بالآخر الكبير.

سؤال: هل هناك خطأ فى قراءة لا تتخل عن رغبتك؟ على أنها لا تتخل عن مطالبك؟

بالطبع نعم. فالموقف العصابى يعتمد على الخلط بين الرغبة والطلب، وحينما تسأل السؤال ما الذى يريده الآخر الكبير منى ؟ فالحقيقة أن الإجابة لا تتضمن التمثيل(*) بين الرغبة والطلب، وسوف نفسر هذه النقطة حينما نتحدث عن كيفية توصل "لاكان إلى التفرقة بين الرغبة والطلب.

سؤال: هل هناك إمكانية لوجود أخلاقيات للدافع؟

– هى أن يكون لديك محللون لا يتظاهرون بمعرفة اللاشعور، فقد يسمعون نصف – القول **half-said** ولكن فيما بعد، لا يتظاهرون بالمعرفة المسبقة، إذ يأتيك المريض كما لو كنت تعرف ما فى لاشعوره، ويقبل المحلل ذلك ولكنه يعرف أنه فهم خاطئ. ويكون على المحلل مساعدة المريض على الهروب من هذا الفهم الخاطئ وهى نقطة افتراض درجة من الجهل البنائى فيما يتعلق بالآخر الكبير.

سؤال: لدى سؤال فى الحصر، فقد عانيت منه من قبل: فما الفرق بين المرور إلى الفعل passage à l'acte والتفعيل فى التحليل؟

هذه الأسئلة سنتناولها فيما بعد. ولكن كنوع من التوقع فبالنسبة لقياس إلى التفعيل(**) **acting out** والمرور إلى الفعل **passage à l'acte** سأعطى مثلاً: حالة الفتاة

(*) التمثيل ترجمة لـ assimilation. آثرنا ترجمة represent يتمثل assimilation, تمثيل بمعنى اندماج

(**) الفرق بين التفعيل acting out والمرور الى الفعل passage a l'acte

Passage a l'acte يختلف عن التفعيل acting out ففى التفعيل تظل الذات داخل scene المشهد بينما فى المرور إلى الفعل تخرج الذات خارج المشهد وخارج شبكة الترميز.

الجنسية المثلية وهى حالة عالجها فرويد؛ إذ اختارت الفتاة اختياراً جنسيا مثليًا بعد تعرضها لخيبة أمل فى والدها الذى لم يعطها ما كانت تتوقعه منه، فقد ولد لها أخ بعدها تحولت إلى الجنسية المثلية. وتعلقت بعدها تعلقا جنسيا مثليا بطريقة ممثلة بمعنى أنها اتسمت بالشهامة. ويمكنك أن تعتبر القصة برمتها مع السيدة التى عشقتها بوصفها تفعيل بالقدر الذى عنى ذلك أنها كانت ترسل إلى والدها برسالة. ويمكنك اعتبار التفعيل بوصفه الدخول فى المشهد المتخيل بهدف الدلالة على شىء ما يستدعى التفسير، إلا أن والدها فشل فى فهم أى شىء ، وكان حانقا على هذه العلاقة (رأت الفتاة رفضه فى نظرته) قامت بفعل انتحارى (انتحرت)، إذ قفزت خارج المشهد الأمر الذى يمكن الإطلاق عليه **المرور إلى الفعل** passage à l'acte وإن ما يميز التفعيل هو **الدخول** إلى المشهد الأمر الذى يدل على شىء ما إنما المرور إلى الفعل فيعنى القذف بالذات خارج هذا المشهد. يكفى هذا لتحديد أفكارنا

سؤال: هل يحدث المرور إلى الفعل حينما تخفق الدلالة ؟

حينما لا تُسمع الدلالة رغم إلحاح الدال، تكون النتيجة الطرح السلبى، وحينها تكون استجابة المريض لصمم المحلل بترك العلاج، فهذا **المرور إلى الفعل**.

سؤال: حينما يقول فرويد فى هذا المثال إنه يعنى الحمل (الحبل) ألا تحلل لها ذلك ؟

– يعد التفسير وظيفة لما يقال فى اللحظة.

سؤال: ما رد الفعل التحليلى لاستجابة المرور إلى الفعل ؟

– أتعنى حينما يحدث المرور إلى الفعل أثناء التحليل؟

سؤال: أعنى فى حالة فرويد

– فى حالة الفتاة الجنسية المثلية؟

مع هذه الفتاة أوقف فرويد نفسه علاجها، ولكنه قام بذلك ودون أن يكون هناك صلة **بالمرور إلى الفعل** passage à l'acte، فحينما قفزت من معبر القطار. لأن هذه الفتاة بدأت علاجها معه بعد هذا الحدث. بعدها اصطحبها والدها إلى فرويد كى يحولها– إذا صح التعبير– إلى الجنسية الغيرية، وبدأت الفتاة تحليلها بسرد أحلامًا كان محتواها يدور حول ثيما الحب الجنسي الغيرى والحياة الزوجية. هذا وقد خمن فرويد أن الأمر برمته كان بمثابة أكاذيب، وأن هدف أحلامها كان تضليله.

ولذلك فبدلاً من سؤالها لما أرادت خداعه أنهى علاجها، الأمر الذى كان بمثابة فعلا مثيرا للدهشة، وبهذا المثل يمكنك القول بأن فرويد هو الذى قام بالمرور إلى الفعل passage à l'acte.

الدرس الثانـى

كان مـوضـوع حلقتنا بالأمس يدور حـول العـلاج بالكلام، وإذا اعـتبـرنا التـحليل النفسى بمثابة العلاج بالكلام، فإنك تبقى بداخله بدلاً من الخروج عنه للبحث عن المعنى وتحدد للذات مكانًا داخل فعل الكلام. وتجد نفسك مدفوعًا نحو فهم مختلف للآخرية يختلف عن الأنا الآخر الذى يطلق عليه "لاكان" "الآخر الصغير ستجدك مدفوعاً لمكان الحقيقة، تلك الحقيقة التى لا ترغب فى معرفتها بوصفها مكان الحقيقة أو مكان اللغة، تلك اللغة التى تفصح دوالها عن الحقيقة على أية حال.

وما أريد تناوله اليوم هو السؤال التالى: ماذا يوجد فى مكان الآخر الكبير؟ وهو نفس السؤال عما يظل بالخارج أو يوجد فى علاقتى باللغة، حينها أقول على سبيل المثال لقد أخطأت فى معاملة جون بهذه الطريقة؟ أو "هذه السنوات كانت أفضل سنوات حياتى ؟ والسؤال الآن هو: ما الشىء الذى يبقى فى علاقتى باللغة متمرداً على مجرد التفكير؟

أنا أرغب فى تناول هذا الموضـوع، وذلك بفـحص كلمـة رمـز فى مـدرسـة علم الاجتماع الفرنسى ومؤسسها إميل دوركايم صاحب كتاب "قواعد البحث الاجتماعى، ومـحور عمله الأول هـو "الوقائع الاجتماعية هى أشياء وقد كتب كتابا آخر فى نفس الوقت بعنوان: "الأشكال البدائية من الدين ، وقد اعتبر فيه الدين رابطة اجتماعية أساسية أى رابطة تفسر المعية(*) كأعضاء نفس المجتمع. وقد استخدم "دور كايم الرمز بمعنيين متناقضين الأول: الرمز المستخدم بوصفه مفهوما بواسطته يعى

(*) المعية: الوجود معاً.

المجتمع ذاته، والثاني: الرمز ما يؤسس المجتمع ذاته؛ وعلى سبيل المثال: يعتبر رمز "الله" كمفهوم بواسطته يعى المجتمع بما هو كذلك بذاته وبوحدته، وأعنى أن شيئا مختلفا عن الأفراد الذين يكونون المجتمع. ولأن الموت للأفراد والبقاء للمجتمع على أية حال، ويؤخذ في الاعتبار أن نفس الرمز "الله" هو شرط بناء المجتمع والنظام الاجتماعي، وأعتقد أن الاستخدامين يستحقان الإبقاء عليهما؛ لأن كثيراً من علماء الاجتماع مستمرون فى استخدام "الرمز" مترادفا مع التمثل، وأعنى هنا أن شيئا يقوم مقام شيء آخر، مما يعنى أن الرمز يشمل كل شيء ابتداء من إشارة المرور حتى حقوق الإنسان، أما حوارى دور كايم وابن أخيه (مارسيل ماوس) فقد رفض المعنى الثانى رغم أنه شارك عمه في اهتمامه بالظاهره المقدسة والدين ، ولكنه اعتبر الحقائق الاجتماعية أشياء وكان لماوس إحساس حاد لما أطلق عليه الحقيقة الاجتماعية الشاملة أعنى حقيقة ما يؤسس جوهر المجتمع الإنسانى بما هو كذلك، وحقا أنه فهم هذه الحقيقة ووجد هذه الظاهرة فى الهبة أو العطية بالقدر الذى يخلق الالتزام بإعادة الهبة.

ثم جاء ليفى شتراوس وأخذ هذه الظاهرة – أعنى الهبة والتبادلية– والتبادل بالنسبه له جوهر الوجود الاجتماعى ، ولذا فالحقيقة الأساسية – عنده – فى التبادل هى الوعى بأنه يمكننا اعتبار قوانين الزواج بمثابة قوانين تبادل النساء، وهنا يمكن القول بأن ليفى شتروس كان واعيًا بأنه يمكننا اعتبار قوانين الزواج بمثابة قوانين التبادل بين النساء والرجال، وأن وجهة نظر مركزية الذكورة ليست بضرورية. وقد اتخذ وجهة النظر الذكورية؛ لأن الرجال حصلوا على قوة سياسية فى المجتمعات، وهو ما أدى إلى كثير من الاستثناءات والخلل، وكان من السهل صياغة قوانين الزواج بالطريقة التى قام بها

ورغم اختلاف قوانين الزواج من مجتمع لآخر، تبقى حقيقة واحدة ثابتة وهى تحريم المحارم بين الأم والابن حتى الملك لا يستطيع الزواج من أمه، وهذا يعنى أن

المجتمع يعطى الحق فى الزواج من الأخت، وهو حق لا يعطى لأى شخص، ولكن لا للأم. وقد اعتبر شتراوس قانون تحريم المحارم نتيجة لحقيقة أساسية، ألا وهى "التبادل الاجتماعى ، وبالتالى لن يكون هناك تبادل لو أن الرجال أبقوا على النساء لأنفسهم، والتبادل فى حد ذاته نقطة مرور من المستوى الحيوانى أى المجتمع "الوحشى إلى المستوى الثقافى الذى خضع للقانون، وهذا أمر يعنى أنه اتخذ فكرة التبادل لتكون الحقيقة الاجتماعية الأساسية، واستبعد كل اهتمام بالمستوى الدينى.

وأطروحتى هى أن مشكلة المرور من مستوى الطبيعة إلى مستوى الثقافة، إنما يحدث على نفس منوال ماهو مقدس، ولعل اهتمام شتراوس فى تفسير منع الزنا بالتبادلية هو الذى دفعه إلى النجاح فى استبعاد مشكلة المقدس. نعم إن فكرته تشير إلى أن للمجتمع بناءً مزدوج الحد، وهذا يعنى أن المجتمع يتكون من عدد لا نهائى من الأزواج؛ أعنى الأنا والأنت يجعل الوجود فى سلام مستحيل، ومن أجل هذا السلام لابد من حدوث تكامل. وهذا بالنسبه له هو التبادل، ومن ثم يتقدم المجتمع نحو التبادل- تبادل النساء- وأطروحته هذه تعنى أن المجتمع من خلق شرطٍ يُقيمه. وهناك (حلقه أو دائرة) **Circle** فى هذا المنطق. هذا بالإضافة إلى أنه عندما تفحص المثال الذى يعطيه لتوضيح فكرته، تجد شيئا يخاطر به. ثم يكتب صفحتين أو ثلاث أخريات جميلة يصف فيها ما يحدث فى أحد المطاعم فى بلد ما؛ إذ نجد؛ غريبين جالسين وجها لوجه على المنضده، ثم يشعر كل منهما بشىء من التوتر؛ توتر لا مبرر؛ لأنه لا يرى سوى حقيقة وجود الآخر ولإنهاء الموقف يقدم أحدهما نبيذاً للآخر ويبدآن الحديث.

ويصبح كل شىء على ما يرام ، وبالطبع فإن أحدهما يسأل الآخر أن يتذوق نبيذه هو كتبادل بلا مكسب لأيهما والدافع عند شتروس هو تهدئة العلاقة بحيث يجعل الوجود أمراً ممكنا، إلا أنك إذا حاولت تصور التبادل الذى يحدث فى صمت كالتمثيل الصامت "البانتومايم تبينت أن تناول النبيذ هو تبادل حديث، وهو الذى حقق هذه التهدئة، ولم يكن أيضا تبادل النبيذ سوى الاحتفال بالحديث.

والواقع أنه يمكنك القول بأن البدائيين كان لديهم إحساس أكثر حدة لما هو راهن؛ لأنهم اخترعوا الأساطير حول المصدر الذى يفسر خلق المستوى الاجتماعى، إن لم يكن الوجود فى حد ذاته إلى عمل شخص "ثالث ليس بعضو فى المجتمع، ولنسم ذلك: الأجداد أو الآلهة أو الأرواح أو أى شىء؛ إذ كان ذلك الثالث هو الذى يحقق الأزواج (الزوجية) pair ، وهو مغاير بالنسبة لى ولك، وبالتالى فهو "شاهد وكلمته غير قابلة لأى خداع، ويمكنك اعتبار "الطوطم والتابو بمثابة أسطورة عن الجذور، ورغم أنه لا يمكنها الصمود من حيث إنها تتضمن نفس الدائرة التى لاحظناها بتفسير ليفى شتراوس، وتبعا لفرويد فإن الأخوة بعد قتل أبيهم خضعوا لقانونه، مما يعنى أنهم ظلوا غارقين فى نظام الطبيعة، وهم الذين خلقوا الظروف التى أنستهم الأمر الذى لم يتقبله "لاكان رغم أنه على العكس من الأنثروبولوجين لم يخفق أن يرى دلالته. حقا إذا كان نظام القانون قد شُيد بعد قتل الأب فالأمر يعنى أنه – أى الأب – هو الذى خلق القانون من حيث الاسم الذى بقى بعد موته، وبالتالى **فالاسم** هو الذى شيد هذا الثالث ، ونحن هنا بصدد نظرية "لاكان" فى الذهان. وفى أول عام قام فيه لاكان بالتدريس قدم تفرقته الشهيرة فيما بين الأب الرمزى أعنى (اسم الأب) والأب المتخيل والأب الواقعى، وأقام – فى الوقت نفسه – التفرقة بين الكلام المليء والكلام الفارغ. وبهذه التفرقة بين نوعى الكلام شيد تفرقة بين نوعين من "الأنت وكان يسأل تلامذته –أتجد أن "الأنت التى تستخدمها فى سؤال لأحدهم "كأن تسأله – لا أفهم ما "أنت بقائل أو "أيمكنك "أنت تفسير هذه النقطة مرة أخرى؟ على أنها نفس **"الأنت"** التى تستخدمها حينما نقول لشخص ما: لقد بهرنى الضوء الذى قمت "أنت بإلقائه على هذه النقطة كنوع من السخرية، بالطبع فهى ليست نفس "الأنت ، وفى استخدامها الأول كنت أتوجه بالحديث إلى شخص أنتظر منه رد الآخر الكبير بوصفه مكان اللغة، بينما فى الاستخدام الثانى يشير إلى السخرية. لقد تورطت فى نوع من العدوانية التى تستند إليها كل العلاقات المتخيلة. وأهم سمة للذهانى – فى رأى لاكان– هى إخفاقه فى أنه ليس لديه مكان للآخر الكبير بالمعنى الأول للكلمة كمكان للغة. وبالنسبه للذهانى،

فإن الآخر هو الآخر الصغير. حقًا إن "شريبر تحدث عن الله الذى كان الشخصية الأساسية فى هذيانه إلا أن الله بالنسبه له لم يكن شخصا ثالثا، بل كان صورة أخرى لذاته، وكان الله بالنسبه لـ "شريبر غشاشا مما يعنى أن الله قد ألغى فى اللعبة التى تحدث بين (الأنا والأنت)، وبالتالى ليس هناك ثالث عند "شريبر ويمكنك القول بأن احتمال الثلاثية أصبح خارج مجاله النفسى، أى إن اسم الأب قد سقط(*) وهو كرمز لنظام الأسماء؛ أى أسماء الأبوة قد سقط قيدها، ويمكنك أن تسأل ما الذى يوجد فى نظام الأسماء؟ وما الذى يوجد فى اسم ما ؟ هذا هو سؤال (جوليت) حين علقت على أن الزهرة قد تحمل أى اسم، ولكن لها نفس الرائحة الذكية.

وسأذكر هنا كتابا قصيرا يلفت النظر وهو "الاتصال اللغوى للكاتب روى هاريس، ويمكنك أن تجده فى طبعة (توميس ١٩٩٦م) وقد تضمن نقدا مذهلا لفكرة "الميتالغة" ما بعد اللغة، واليونانيون قد اخترعوا النحو والمنطق- تبعا لهاريس- وهذا الاختراع الرمزى قد استحضر اهتماما؛ أعنى بالنسبة لكل فئة علماء النحو؛ وكل فئة علماء المنطق، وفكرة الدفاع عن الميتالغة أمر يؤكد استمرارية العيش لديهم، وللبرهنة على وجود وجهة نظر أخرى أشار إلى قصة بالإضافة إلى مناقشات أخرى، وإليكم القصة:

أمير سأل كونفوشيوس رأيه عن كيف يكون الحكم حكمًا جيداً ، فرد الحكيم كونفوشيوس إنه لأجل إقامة حكومة جيدة لابد للحاكم أن يكون حاكمًا، وأن الرعية تكون رعية، وأن الأب يكون أبا والابن يكون ابنًا وهذه الإجابة لا تقول شيئا؛ لأن الكلمات ما هى إلا تكرار للمعانى أو الإجابة التى نريدها ينبغى على الحاكم أن يكون فاضلا وشجاعا، وعلى الرعية الطاعة والقيام بواجباتها أو ما إلى ذلك؛ لأن الحقيقة تكمن فى أن الكلمات تشيد النظام، لأن الكلمات ليست مجرد نتاجا لأنشطتنا ، بل هى

(*) forclosure لقد آثرنا بترجمتها سقوط أو انعدام وفقا لسياق المعنى.

تنظم أنشطتنا وإذا أمعنت النظر لوجدت أنه ليس هناك شخص يمكن أن يحقق الاتساق والثبات فى العلاقات الإنسانية؛ لأن أى شخص يمكن أن يكون غشاشًا، ونفس الشىء لا يمكن التيقن من أى دلاله بسبب لا نهائية الدلالة أو الشك فيها، ولذلك لابد من وجود قانون مدموغ فى ذات الاسم. وهذا القانون يتعلق باسم الأب وهو لايغيب فى أى نظام لأسماء الأبوة. وهذا لايعنى أن الأب يمثل على الدوام بوصفه المولد، ذلك أن وظيفة التوليد يمكن أن تعزى إلى كينونات آخرى مثل: الأرواح أو الأجداد أو أى شىء آخر   أما اسم الأب أو الأباء فى النظام – أو الأسماء الجامعة للأبوة– فتشير إلى وجود قوانين الزواج وتدل على تحريم إتيان المحارم. وهنا توجد نقطة تتعلق بعلاقة الأم بابنها، هذه العلاقة – كما نعلم– مفتوحة لكل أشكال الانحراف، وهذه العلاقة تعتمد على درجة نجاح الأم فى القيام بتكامل النظام الرمزى، وبنفس القدر، فإن تقديرا لاسم الأب سوف يحرم (مانعًا) العلاقة المنحرفة بابنها، والحال هذه يمكنها منح طفلها كل حبها دون أن تغوى فى الذهاب إلى أبعد من هذا أعنى الانحراف، وسلوكها يحمل آثاراً بعيدة المدى؛ لأن فكرة النرجسية والقدرة المطلقة السحرية التى تسم الطفل هى فكرة خاطئة، وهذه القدرة المطلقة تكون من جانب الأم؛ لأنها تعطى حبها وكل شىء لابنها، بل تعتمد حياة الطفل تماما على حبها له، وبالتالى يجد الطفل نفسه فى مواجهة القدرة المطلقة التامة، أى أمام كائن يمكنه القيام بأى شىء، يحبه بلا حدود لما يمكن أن يقوم به أو لا يقوم به وهذا يحمل أثرا مدمرا وقد تتخذ الأمور – بالنسبه للطفل– منحى غير سار عندما تسلك الأم طريقا يعطى انطباعا بأنه لا نهاية لنزواتها وبدلا من مواجهتك لكل هذه القدرة المطلقة السحرية يمكنك تنظيم الأمور بحيث يصبح اسم الأب البعد الثالث الذى يؤتى ثماره الخاصة، وفى هذه الحالة تُستبدل الرغبة غير المحددة باسم الأب.

وهذا الاستبدال هو الاستعارة الأبوية وآثارها، استحضار كينونة غير موجودة فى الواقع، مثال روميو حينما ألقى الضوء على نظام كونى جديد حين قال   جوليت هى الشمس وهكذا، فإن "لاكان" عندما أطلق اسم الاستعارة الأبوية يكون له أثر

عظيم هو خلق كينونة جديدة تسمى الصورة الغالية، وهناك فرق فيما بين الفالوس والقضيب(*)؛ فالفالوس من وجهة النظر هذه ليس مجرد عضو للجماع، ويعرف الفالوس بوصفه شيئا لا يمكن أن يكون حقيقيا، ورغم ذلك فإن امتلاكه إن كان ذلك ممكنا يضمن رغبة الآخر الكبير، وهى فى المقام الأول رغبة الأم، ومثل هذا الضمان أمر مستحيل، "فعطيل رغم أنه لا يمكنه فهم حقيقة هذا الأمر نجده يقول لعنة الزواج فى أنها توهمك بأنك تمتلك كائنا رهيفًا ، فى حين أنك لا تمتلك رغباته. وهذا يكشف عن نقطة صماء، ألا وهى: أنه ليس راضيا عن حقيقة أن ديدمونة قد منحته رغبتها، فذلك لم يكن بكاف بالنسبة له، بل أراد ضمان رغبتها أيضًا فهو يرغب أن يكون الفالوس مما يعني أنه سيستمر في السعى نحو التأمثل ويشير ذلك إلي رغبته فى أن يكون الفالوس، والطريقة الوحيدة إلى ذلك هى الاتجاه نحو التأمثل، إذ يتحدث عطيل وكأن صورته المرئية – تتكون من كل ما هو كامل فى العالم، وبطبيعة الحال، فإن مثل هذا التأمثل جهد يبوء بالفشل ولا نتيجة آخرى له غير ذلك؛ لأن هناك فرقا دائما بين الأمثلة والصورة الغالية، فهذه الأخيرة هى النقصان الذى يستحيل ملؤه.

وإذا رجعت لدراسة علاقة الطفل بصورته المرئية ، فمتى تبدأ الصورة الغالية فى اتخاذ دورها؟ وماذا تكون النتيجة؟ النتيجة تكمن فى أن الفتاة تدرك نقصانها، بينما يرى الصبى قضيبه ورغم ذلك فموقف الصبى ليس بأفضل من موقف الفتاة؛ لأنه سيدرك قضيبه بوصفه شيئا مثيرا للشفقة وسيكون لديه إحساس بعدم الاكتمال، كما سيشعر بأنه ينقصه شيء. ورغم أن فى أحوال أخرى قد يشعر بالاكتمال وسيضمن رغبة الآخر الكبير. وعند هذه النقطة نتناول "لب الذاتية"؛ فالذات ليست شيئا ولا تستطيع امتلاك كل وجودها هنا مرة واحدة. ولأنها ليست شيئا فإن الذات غياب

(*) omnipotence القدرة المطلقة: مصطلح حركه فرنزى ليشير به إلى التحكم الشامل على المستوى السحرى أو المتخيل للموضوع

القضيب مكافئ للعضو الذكرى بينما الفالوس مكافئ للبعد الرمزى؛ أى بوصفه دالا (الدال الأول)

الفالوس: مصطلح يونانى، يشير إلى المعنى الرمزى للعضو الذكرى إشارة إلى القوة الذكرية.

الذى يبدو فى "الصورة المرآوية" وهو غياب لأين وجودنا، وهذا هو الخصاء كأثر متخيل للنظام الرمزى، ورغمها فإن الذات لا تدرى من أين أتى هذا الفراغ؟ فالفتاة سوف تحسد الصبى على مايبدو أنه يمتلكه، وسوف يحاول الصبى أن يتصور شخصا آخر لديه ما لا يمتلك، وبذلك سيكون امتلاكه على نحو غير مباشر أى بواسطة التوحد مع من يمتلك هذا الأب أو بديله. أما هذا التوحد المتخيل يستمر بواسطة الإحباط، أما الحل- وهو معنى الخصاء الرمزى- فيمثل التوقف عن محاولة تكميل الأم بأى ثمن، وحجر الزاوية فى الخصاء هو خصاء الأم الذى يكلل بالاعتراف فى المقام الأول بأن الأم ليست خاصة به وأنها خاصه بالأب ، ومن وجهة النظر هذه، فإن الخصاء يعنى افتراض النقصان ومن افترض ذلك، فإنه يترك الذات فريسة دائمة للنقصان الذى يتخذ شكل الإحباط.

لى رغبه – هنا – أن أضيف نقطة على بحث لاكان؛ لأنه حين عقد حلقته الدراسية عن الذهان، وحينما أراد – بداية- شرح فكرة الغرام الدال نقول: ماذا يعنى ذلك؟ قال: إذا وجد دال لا يوجد فى اللغة فإنه لن يكون له أثر فعال، والواقع أن هناك قصة طريفة لكاتب إسبانى بعنوان: "**الحروف الأبجدية**" فيها يتخيل الكاتب مجتمعا تطير فيه الكتب وتختفى الكلمات، أما النتيجة فهائلة لأن الناس لم يستطيعوا الجلوس؛ لأنه لا يوجد كلمة للمقعد، ولم يستطيعوا النوم لأنه لا توجد كلمة للفراش. وذلك بداية تفسير لاكان للانعدام ثم بدأ بالسؤال التالى: هل هناك دال فى اللغة لايتخذ شكلا؟ وسؤال آخر أين توجد الفجوة على مستوى الدوال؟ لقد وجدها فى حقيقة أنه لا يوجد دال يعبر عن واقع الأنوثة بما هو كذلك. دعونى أشرح هذه النقطة: من الواضح أن كلمات **رجل وامرأة** إنما تعبر عن ذوات فى عدد لا نهائى من الفروض، ولدى كل فرد فكرة عما هى المرأة، وعند كل مجتمع قواعد عن الأنشطة والحقوق والواجبات لهذا أو لتلك، إلا أن هناك موقعا واحدا ينبغى فيه استخدام تعبيرات الذكر والأنثى، لا كذوات وإنما كصفات؛ أعنى لحظة الميلاد فعليك عندها القول إن كان المولود ذكرًا أم أنثى ، وأن وظائف الفالوس لأسباب جشتالطية(*) واضحة تعد دوال للفروق

(*) Gestalt صيغه كلية شكل يعبر عن وحدة تتكون من عناصر، لكنها ليست جمع للعناصر فهى تختلف عن مجموع عناصرها بما لها خاصية الكل والوحدة وخصائصها الكيفية.

الجنسية مما يعنى أن المرأة لا تعرف بما هى، وإنما بما ليست هى، وهل معنى ذلك أن المرأة بقدر معايشتها لخبرة أنوثتها تقع فريسة للوضع الذهانى بدرجة ما؟ هناك كتب مثل: سرج الذرية" يدعون أن مثل هذا الفرض لا ينبغى استبعاده، ولكن "لاكان" لم يذهب إلى هذا الحد فى رأيى. حقا فبالنسبة له تبعا له تبرز قوة الدال فى تنظيم الواقع إلى الحد الذى لا يكون هناك تعارض مباشر فيما بين الليل والنهار، ويكون التعارض أولا بين النهار وغيابه، وأن الليل يحدث عندما يغيب النهار، ولم يذهب إلى حد تفسير سقوط اسم الأب بوصفه غيابا للكلمة، بل كان عليه الاعتراف بأن فكرة ما أطلق عليه النظام الأبوى الذى يحفظ النظام الإنسانى بأسره. فكلمة أب وضع لا يمكننا استبعاده حتى فى حالة "شريبر إلا أن الأمر هنا إنما يتعلق باستخدام الدال، ومن هنا فإن كل شىء يذهب للذات كما لو كانت كلمة أب لا وجود لها على الإطلاق بالقياس إلى أنها تدل على النظام الرمزى ، ويمكننا فهم فكرة السقوط بوصفها دال. وأعتقد أنه يمكنكم طرح أية أسئلة قد تساعد على الاستمرار.

سؤال: ما الذى يدعيه سرج أندريه ؟

كتب أندريه كتابا بعنوان ماذا تريد المرأة؟ فى إشارة واضحة لكلمات عزاها أرنست جونز لفرويد بأن الأخير قد اعترف بعد ثلاثين عاما من العمل لم يزل لا يعرف إجابة لهذا السؤال: ماذا تريد المرأة.

ورأى "أندريه" – أيضا– أن النسوة يردن المزيد من اللاشعور ، ولذلك فإن الهيستيريات الأوليات كن سعيدات بالتفسيرات؛ لأن حقيقة الأنوثة لاتعرف لا بما هى عليه وإنما بما ليست عليه، وحيث لا يوجد اسم إيجابى للأنوثه فلا يوجد سوى التفسيرات، هذا هو معنى الفجوة أو القطع فى النسيج الرمزى، وبنفس القدر الذى تبقى على صلة بهذا الواقع المرموز له أو غير المسمى بالقدر نفسه تكون فى حالة سقوط الدال الذى يسميها، وبهذا تجد نفسها فى حالة "ذهانية" على نحو ما، وقد

يكون الأمر مبالغا فيه إلا أن أندريه لايرى سببا فى استبعاد هذا الفرض. وقد أبرز "أندريه هذه النقطة اعتمادا على مقال جون ريفيير "الأنوثة كتنكر الذى يعرض لحالة مرضية لامرأة انقسم سلوكها إلى اتجاهين: اتسمت تارة بالذكاء الحاد والنشاط والتفوق مما يعنى حصولها على الفالوس، بينما اتسمت تارة أخرى بتملك مشاعر الذنب منها مما يشير إلى تخليها عن الفالوس؛ إذ كان هذا الميكانيزم وسيلتها فى التعبير عن أنوثتها؛ لأنها كانت تجادل بأن الأنوثه لا يمكن التعبير عنها سوى خلال تيه اللاشعور، وكان على هذه الأنثى خلق أسطورة لاشعورية حتى تحتفظ بحالتها "التنكرية"، بدلا من مواجهة حقيقتها المستحيل تسميتها، وهذه الحالة مصدر للحصر وهو أكبر من الخصاء نفسه.

سؤال: هل كان لاكان يذهب إلى هذا الحد البعيد؟

لا أعتقد أنه ذهب إلى هذا الحد الذى قام فيه بتمثيل الأنوثة بموقف ذهانى، وبالأحرى فإنه انتهى إلى الحديث عن المتعة الأنثوية التى تختلف مؤكدة عن المتعة الغالية.

سؤال: هل يعتبر اختفاء قواعد النمو وتضاؤلها دليل على سقوط شىء بكليته؟

نعم إذا اختفى النمو اختفت اللغة تماماً، وهناك جملة ابتدعها "ناعوم شومسكى وهى:"تنام الأفكار الخضراء بعنف"، وهى مثال على جملة نحوية صحيحة، ولكنها لا تحمل أى معنى؛ والواقع أن لها معنى لماذا لا تقول "تنام الأفكار بعنف" وهذه يمكن اعتبارها استعارة اللاشعور، وإذا لم يكن لديك مرجعا يمكنك ألا تمنح الجملة أى معنى أنت تحبه. فكلما كان هناك نحو كان هناك معنى، لأنك تمنح المعنى لأى جملة نحوية، وإذا لم يكن هناك نحو فلا يكون هناك معنى على الإطلاق، ولذلك لا يمكن أن يكون هناك لغة.

ولما اخترع اليونانيون النحو كانت هناك حقيقة تظل فى كل منطوق، بحيث يكون هناك توزيع للذات والصفة فى الجملة الاسمية أو الفعلية، وهذه فى كل اللغات، ولذلك فإن كل لغة بلا نحو هى غياب.

سؤال: لم لا يُشيد نحو محدد- أو يخترع- يقى من السقوط لاسم الأب؟

-ابتداع النحو يعنى ابتداع اللغة، لأنه لا توجد لغه بلا نحو ، إلا أن اللغة لاتبتدع أبدًا، ولكنها تتناقل. أما إذا ابتدعت فشلت مثل لغة "الإسبرانتو التى من المستحيل أن تتحول إلى لسان عالمى.

سؤال: لقد فهمت أنك تقول حينما يسقط اسم الأب يندلع الذهان، وأن الدال على الأنثى غائب فى اللغة، وهو ما يعد نوعا من السقوط. ومن ثم فهناك علاقة بين الأنوثة والذهان، وهو أمر تشير إليه الحلقة الدراسيه الثالثة لـ لاكان، ولكنك تبدو وكأنك تقول إن لاكان قد تراجع عن رأيه هذا.

– أنا شغوف بأن أفرق بين حالتين الأولى: تتعلق بغياب دال الأنوثة فى اللغة؛ لأن الأنوثة توازى ما هو سالب فى **اللاشعور**، أو أنها ليس لها دال مؤكد بما هو كذلك الثانية أن هناك دال هو الأب لا يستطيع أى شخص فى حياته أن يحصل على قدرة أو مكانته، وبالنسبه للذهانيين فإن هذا الاسم لا يُخلق البته، مما ينتج عن علاقتهم بالأم التى تسلك عندما كانت رغبتها بلا ضابط، ولا تخضع لأى قانون على الإطلاق غير أن هناك حالات يأتى هذا التدمير من الأب لأن الأب؛ لا يسلك فيها نحو ابنه بوصفه نموذجا يمكن التغلب به على حصر الخصاء، وإنما يسلك كما لو كان هو نفسه كاتب القانون.

سؤال: أتتحدث عن والد شريبر؟

– نعم؛ لأن حقيقة الأمر أن والد شريبر كان أشبه بالوحش، وقد ظل ابنه سجينا لعلاقة بشخص آخر لا يمت له بأية صلة، بل كانت له علاقة بأخيه الأكبر الذى يتميز بالقوة والطغيان، وبذلك ذهب كل معنى للأبوة إدراج الرياح فى مثل هذه الظروف.

سؤال: أيمكنك تعريف الشر بوصفه غياب للخير لا بوصفه شيئا إيجابيا، ونفس الشىء بالنسبة للأنوثة أتعرفها بغياب الذكورة، ومع ذلك لا لأنه ليس شيئا إيجابيا، مثلاً لا تُعرّف الأنوثة بغياب الذكورة، وعلى الجانب الآخر تصبح الأم هذا الكائن الذى يحمل القدرة المطلقه السحرية وكيف يمكن لدال الأنوثة أن يكون مختلفا عن الكلمات الآخرى فى اللغة ولم لا يكون دال المرأة موجبا؟

–إن دال المرأة بالطبع موجب، إلا أن السؤال هنا هو: لم لا يوجد دال للأنوثه أو الفروق الجنسية؟ أى سيدة فى **اللاشعور** تمثل سلبيًا، فهى تمثل بوصفها لاتمتلك دال "الفالوس، وهناك تمثيل فى **اللاشعور** بين الفروق الجنسية وبين السلبية والإيجابية تُخترق وما يخَترق وهكذا، وباختصار لا يوجد اسم فى **اللاشعور** يرمز إلى حقيقة الأنوثة، ولذلك فإن المرأة لا تعرف بما هى إنما بما ليست هى مؤكدة. أما بالنسبه إلى الشر بوصفه غيابًا للخير، فإن ذلك يدفعنى للتفكير فى علم اللاهوت وبخاصة اللاهوت السالب(*) وإنا هنا نلمس نقطة هامة يمكن تناولها فى وقت لاحق، وأعتقد أن الموضوع– مع الأخذ فى الاعتبار– موضوع للمعرفة؛ لأنه يعرف أو يحدد بسماته

(*) اللاهوت السالب: ننفى به عن الله كل نقص، ونفى النقص يعادل التأكيد (غير) المحدود مثلاً يعادل لا حد له.

وفضائله. وفى الحقيقة إن الطفل يُحب، لا بسبب كماله، بل بسبب نقصانه، لأن الحب يحفز أية سمة يحملها الموضوع ويحولها إلى فضيلة مهما كانت، ولايمكن تحديد الرغبة من خلال هباتها وفقا لخصائصها الموضوعية. ولذا تحتاج لقراءة قصة مثل صورة لامرأة" لهنرى جيمس بهذا لا يوجد ما هو أكثر تعارضا مع اللاهوت(*) الكمال أكثر من التحليل النفسى بسبب مفهوم لاكان عن الرغبة.

سؤال: لم يقال – فى اللغات السامية – إن الرجل حين ينام مع امرأة يعرف زوجته، ولم لايقال إن المرأة حين تنام مع رجل تعرف زوجها؟

الواقع أن علاقة الموضوع بوصفه موضوعا للمعرفة أو التفكير أمر مبهم ويعبر عنه فى كثير من الأحيان بكتابات مستعارة فى مجال الجنس، ولهذا فإن استخدام الحساب ابتداء من استخدام جاليليو له ومن جاء بعده كان بمثابة الخطوة الهائلة فى اتجاه التخلص من قبضة هذا التصور. لم لا نقول إن المرأة تعرف الرجل بسبب ما قلناه بأن الأنوثة والذكورة تترجم فى اللاشعور بمفاهيم سالبة وموجبة، والذكر هو الموجب العارف أما هى فيُتَعّرف إليها، سؤال: هل تستطيع التعرف إلى إنسانين بصرف النظر عن نوعهما، إذا كان هناك إنسانان بصرف النظر عن نوعهما هل الموجب هو الرجل؟ المرأة يمكنها أن تكون موجبة ومسيطرة فى حياتها اليومية، إلا أن ذلك لا يدرك إلا بوصفه سمة ذكورية، وهنا نرجع مرة أخرى لمسألة النوع.

سؤال   أليس هذا هو التحدى فى وقتنا المعاصر تحديد أدوار الرجل والمرأة؟

إن المؤسسات الاجتماعية تختلف فيما بينها، ولذلك يكون هناك وجهات نظر تدور

(*) لاهوت الكمال: يؤكد الصفة فى الله ويجب أن تفهم بطريقة مطلقة (فهو عادل وعدله مطلق).

حول ماينبغى أن يكون ، وما الأدوار التى ينبغى أن يتخذها الرجل وكذلك المرأة؟

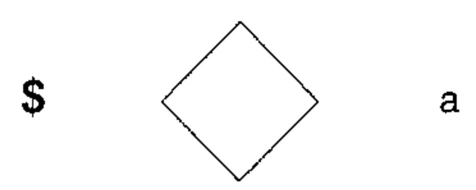
وعلى سبيل المثال المجتمع الفرنسى أو المجتمع الأمريكى أو المجتمع السامى، وأعنى بأنه ينبغى علينا تناول الأمر من وجهة النظر المثالية. ولذا ما الدور المثالى؟ وبالنسبة لى فإن الدور المثالى هو هذا الذى يساعد الفرد على تشييد مواهبه، وفى هذه الآونة فإن الحديث لا ينتهى حول الأدوار، الأمر الذى يمكن اعتباره المقياس الحقيقى لدرجة الارتباك إن لم يكن الحصر الذى يسم فعليا العلاقات بين الجنسين. أما القانون الصادر أخيرا فى فرنسا، فإنه يشترط فيه على كل حزب سياسى أن يقبل عددا من النساء مساويا للرجال، ولذلك فإن كل محاولة لتنظيم العلاقات بين الجنسين – بفعل قوة القانون– لا تبوء بالفشل فحسب، بل تعد إعلانا على الفشل.

الدرس الثالث

تحدثنا فيما سبق عن طبيعة الوساطة الخاصة بالرغبة، وذكرت قول هيجل المأثور إن الرغبة هى رغبة الآخر. والواقع أن طبيعة الوساطة كانت معروفة لإيمانويل كانط،"الذى لمّح فى كتابه. **"نقد العقل الخالص"** لقصة الملك الفرنسى الذى قال، وهو يشير إلى المدينة التى أراد أخوه أن يغتصبها "أريد ما يريده أخى واستنتج "كانط" من ذلك أن العلاقة بين إرادة رجل وآخر تحمل بالضرورة طبيعة الصراع. وبمعنى آخر لا يمكنك استنباط قانون أخلاقى من الخبرة العملية، بل أزيد على ذلك أن "لاكان" احتفظ بفكرة طبيعة الوساطة للرغبة، إلا أنه منحها معنى مختلف؛ فالرغبة ليست وساطة أنا آخر (الشبيه) **Semblable**، وإنما وساطة الآخر الكبير.

وهو الذى نعتبره مكان اللغة والحقيقة، الأمر الذى يعطى الرغبة طبيعة مختلفة تدفعنا إلى ديالكتيك مختلف، ويمكننا الآن أن نلحظ ما يلى، إذا كانت للرغبة قدرة على إقامة السلام بين الإرادات، فذلك إنما يرجع إلى أنها تحدث بناء على وساطة القانون، وفى حالة إذا كان المعطى هو أن الآخر الكبير مكان اللغة، فستجد سؤالا يطرح نفسه ما العناصر التى تُشَيِّد اللغة؟ تبعا لأرسطو فاللغة توجد لتقول شيئًا، ويعد التوكيد هو الشكل البدائى للغة، إلا أن "لاكان قد لاحظ أن الطلب هو الشكل البدائى للكلام: فالمرء يتحدث ابتداء لا للتوكيد على شىء ما، ولكن لطلب شىء ما. والآن فالطلب بشكل محدد موجه نحو الآخر الكبير، فهو من ناحية خبرة الرغبة ومن ناحية أخرى خبرة الآخر الكبير، فى الوقت الذى يجيب فيه بنعم أو لا، فهى أيضًا خبرة ذات طبيعة تواصلية للدال أو ما أطلق عليه رومان ياكوبسون اسم المحور الاستعارى للغة، وهذه الخبرة لرغبة الآخر الكبير تحدد من خلالها قيمة أو عدم قيمة الفرد بفضل قبول أو

رفض الآخر الكبير للطلب، وهذا الأمر يجرنا إلى ما نطلق عليه المحاور الضامة أو التركيبية (التوافقية)، بالقدر الذى يكون على الطفل ضم الدوال لتوضيح طلبه، والمهم هنا: أن الطفل أمام غموض رغبة الآخر الكبير يجد نفسه، بلا حول ولا قوة، وتعد خبرة العجز الشامل جوهرا لما أطلق عليه فرويد اسم "الصدمة" وهى المكان الخاص. وتبعا "للاكان تبزغ الرغبة فى ذات المكان الخاص بالعجز أو الحصر. مما يعنى القول بأن جوهر الرغبة هو الدفاع، وبالنسبة لفرويد – كما تعلمون– فإن كل دفاع هو دفاع ضد الرغبة. وهو أمر صحيح فى جوهره، إلا أنه بالنسبة "للاكان **الرغبة تعد دفاعا فى حد ذاتها ضد رغبة الآخر الكبير**. وهنا يمكننا أن نزيد للدقة أن تلك الذات تدافع عن نفسها بواسطة أناها، أو بواسطة عنصر مستعار من النظام المتخيل فى العلاقة بالآخر الكبير ، وهو ما يحدث على سبيل المثال حينما يحوّل الطفل برازه إلى هبة وما تعبر عنه أو تمنحه الهبة. وهو ليس مجرد استعراض للنفوذ، وإنما يقترب مما يحدث فى العلاقة بالآخر الصغير. وإن ما يهمنا هنا هى الذات نفسها بوصفها متكلمة؛ إذ تعد هى هبة، وهنا نفهم أصالة (لاكان) عن التخييل ، والمعادلة الخاصة تبعا له تجرى كالآتى:



تمثل الذات بوصفها الذات المتكلمة، بما هى كذلك تُشطب بآثار الدال، أما الحرف a فهو عنصر مستعار من مجال المتخيل، أما وظيفة التخييل فهى بمثابة تعريف تثبيت لرغبة الذات ، الأمر الذى يفسر لم تتميز الرغبة الإنسانية بسمة التوافق مع التخييلات لا مع الموضوعات الواقعية، ويتضمن هذا المفهوم عن الرغبة الإجابة عن

السؤال عما يعنيه اللاشعور. إذ يعني أن الذات لا تستمتع بالامتلاك الكامل لوجودها، بل تظل بينها وبين وجودها مسافة على الدوام، وهذا يمنعها من الحصول عليه (وجودها) فيما عداه تبعا لـ "لاكان – المجاز الذى يسمى بالرغبة، فعلى سبيل المثال الذات تحصل على وجودها من خلال البراز كما سبق وذكرت.

ما سبب هروب الوجود؟ من الواضح أن الوجود لن يهرب منا إن كانت هناك إجابة حاسمة عن السؤال الآتي من أنا؟ بمعنى آخر فإن هروب الوجود من بين أنامل الذات يكون بسبب أنه على المستوى الذى ترتبط فيه الذات فى علاقة بالآخر الكبير كمكان للغة. وللحقيقة فإنه لايوجد دال يمكنه الإجابة عن هذا السؤال، وتبعا لـ "لاكان فإن نقصان الدال فى حد ذاته دال، ويشار إليه فى اللاشعور بدال الفالوس. إلا أنه فى السيمنار الذى خُصِّص للرغبة وتفسيرها نجده يقول: إن دال النقصان هو الفالوس: الأمر الذى يبدو وكأنه مفارقة متى كانت حقيقة تسميته برهان على أنه ليس بنقصان، ورغم ذلك فقبل أن نعطي مثل هذه الإجابة لا نريد سوى تهدئة المستمعين. ولذلك فقد قص "لاكان" عليهم نكتة أشار فيها لداروين ولكتابه عن التعبير عن الانفعالات؛ لأنها تشكل ما وضعته على بداية الطريق، وتكمن القصة فى: أن داروين قد حضر اجتماعا فى جمعية بريطانية عالية المستوى، حيث كان الناس يجتمعون على مناقشة ليدى يورك، وهى سيدة عجوز مريضة بمرض عضال، والكل يعرف أن أيامها معدودة ، ثم قال رجل إنجليزى شيئا ما معناه: لقد سمعت أن "ليدى يورك قد أُغفلت ففهم الجميع– فى هذه اللحظة – أنها أغفلت بفعل الموت. وهكذا نجح الرجل فى إثارة فكرة الموت دوت تسميته، وهذا أثار انتباه داروين عن كيفية قولك شيء دون تسميته. إن القصة الأخلاقية هى قولك: ما الموت؟ والعبرة من هذه القصة أنه لايمكنك أن تقول ما الموت حتى لو أنك قمت بتسميته، ولنفترض أن الرجل قال: سمعت أن ليدى يورك لم تمت بعد فإن ذلك لن يقدم لنا ما الموت، بل سيكون مجرد خبر. أو لنفترض أنه ذهب إلى ما هو أبعد مثل القول أتمنى موت الليدى يورك فإن الأمر لا يعنى سوى رغبة فى الموت، والواقع فإن رغبة الموت تقنّع الموت نفسه بوصفه "نهاية المطاف" أو "الكلمة

الأخيرة" في الحياة أو "القضاء الأخير" أو "السيد المطلق" ويمكنك هنا أن ترى أنني لا أستطيع تسميته، بل أقوم بجمع الاستعارات تراكميًا، وبطبيعة الحال يمكننا الحديث عن الموت كما يمكننا الحديث عن نشوء الحياة، فيمكننا القول على سبيل المثال بأننا ننسى الموت في كل لحظة من لحظات حياتنا، وإنما نشعر وكأننا غرباء على كل ماعشناه وكل ما قد حدث. ولكن الحديث عن ذلك بوصفه بنيانًا لايماثل القول ما الموت؟ وينطبق نفس الشيء على الفالوس؛ من حيث **إنه لا يُصَرّح به إلا في اللاشعور**. وأعني الحديث عن الطريقة التي تبنى بها العلاقة مع اللغة أو الآخر الكبير كمكان للغة أو اللاشعور - إنما يختلف القول عما هو. والفالوس مثله مثل الموت إنما يقع خارج مجال التمثل، ويمكننا تمثله من خلال الاستعارة، وهذا يعني أنه لا يمكننا إذا صح القول وضع أيدينا عليه وإذا حدث ذلك، فإنه يتحول إلى شيء آخر على سبيل المثال إلى فيتش(*)، ولابد لنا هنا أن نؤكد على نقطة ما. لقد قلت شيئين: أولا: لايوجد دال يقول لنا ما نحن عليه، ثانيا: هذا الدال هوالفالوس ولنفترض أنني توقفت عند التأكيد الأول، فمن ثم يكون الكلام بلا طائل؛ لأنه لا يمكن القول بشيء محدد، وأن ما يحدث بينك وبيني هو مجرد غياب أي إجابة حقيقية، ثم يمكنك القول بأن الديث غريب تمامًا عن منظور الحقيقة وهو لا يخبر مكانا له طبيعة الأشياء. إلا أن خبرة "فرويد" تكشف لنا أن هناك فائدة من الكلام، وهذه الفائدة هي الخصاء فالخوف من السلبية لدى الرجل هو حجر العثرة الذي يستحيل تجاوزه، وما يهمنا هو وجود هدف للكلام وهذا الهدف يتخذ شكل الخصاء (سواء أكان تخطيه أمر صعب، أو يمكن تخطيه فهذه مسألة أخرى). وبسبب النقصان على وجه التحديد يؤكد ذاته عند نهاية خبرة التحليل النفسي بوصفه نقطة محددة، وهي تسمى النقطة الغالبة ومنظور الحقيقة يتخذ دوره ويقدم نفسه في الخطاب.

(*) فيتش - آثرنا الإبقاء على مصطلح فيتش كما هو الأصل وتعني أثر.

والمدهش هنا ملاحظة أن النقصان في مجموع الدوال يُحدث النقصان على المستوى المتخيل، وهو ما أشرنا إليه فيما سبق حينما قلنا إن الاستعارة الأبوية تتمخض عن الموضوع المتخيل، والواقع فإن الموضوع يستحيل ظهوره حتى في المتخيل ، حالة شيء متخيل، ولكنه ليس مرئيًا؛ حالة هذا الذي يهرب من الصورة والأمر أقرب إلى فكرة صورة، ليست بصورة.

إنها تبدو في المرآة بوصفها غيابًا. وبالقياس إلى الصبي فإنه يشعر بعدم الكفاية، أما الفتاة فتشعر بالنقصان، وهذا يفسر لم ترى الفتاة صورتها من خلال صورة الجنس الآخر، حيث يتحدد نقصانها، كما يفسر لم يسعى الصبي لإلغاء عدم كفايته في صورة الأب أو بديله كصورة القائد الذي يفترض أنها **كافية**. وتتميز كل حالة لصورة مرآوية بالكسر أو الفصل عن هذا الذي من الممكن أن يجعل كلاً منهما كاملاً ومثاليًا في حالة الفتاة أو الفتى والفصل أو النقصان على وجه التحديد هو الذي يقوم بالوساطة في كل العلاقات بالموضوع. فإذا لم يحدث هذا فكلاهما يغرق في الكمال التام، أي في الإشبــاع النرجسي الكامل مع صورتها أو صورته. وهذا يفسر لنا أنه لا مثيل للنرجسية بالمعنى الشامل؛ لأن النرجسية الأولية(*) بالأحرى بمثابة خيال، ولنؤكد القول بأن الصورة التي بلا صورة للفالوس تبدو بوصفها غيابا أي غياب بمعنى أين نحن وفي مكان غياب الوجود فإن الغياب من خلال الاستعارة الأبوية هو غياب أن أكون الفالوس أو بكلمات أخرى الخصاء؛ لأن الذات تحاول إلغاء النقص بتصور أن الآخر المثالي يمتلك موضوع النقصان، حتى يمكنها استرداد اكتمالها بواسطة التوحد مع هذا الآخر المثالي. وهذا هو ميكانيزم التأمثل الذي غالبًا مايتمشى مع حركة أطلق عليها "فرويد" اسم **النكوص** من العلاقات بالموضوع إلى التوحدات؛ لأن التأمثل يهيئ للتوحد؛ مع الموضوع؛ مما يعني أن الوصول إلى العلاقات بالموضوع بما

(*) النرجسية الأولية: النرجسية بالمعنى الكمال التام للذات وهو أمر خيالي.

هو كذلك، يمشى جنبا إلى جنب مع إدراك نقصان الوجود - الفالوس - كنقصان يشارك فيه الآخر الكبير والذات نفسها إن حجر الزاوية فى الخصاء هو فى نهاية الأمر حجر زاوية خصاء الآخر الكبير. وهنا نلمس رغبة المحلل. ولنرجع لحظة إلى سؤال عن تفسير الرغبة، وللإجابة عن هذا السؤال ينبغى إضافة بعض الكلمات التى تتعلق بالرغبة فى علاقتها بالطلب. وربما نشأت بدايات تفكير "لاكان "فى الفروق بين الرغبة والطلب، مع القراءة لقصص فرويد اليهودية؛ لأن معظمها يتعلق بقصص عن مطالب أناس ذوى إمكانيات محدودة، وما يظهر الطبيعة الفكاهية لهذه القصص ولذتها هو الكشف عن الرغبات التى تغلّفها المطالب ، ولذلك فإن الإجابة عن الطلب هى إخفاق؛ لأنه يجب الإجابة عن الرغبة، فالطلب هو طلب لمبلغ صغير من المال، أما الرغبة فهى رغبة أكل (مايونيز السلمون). وقد يكون الطلب، هو طلب الشفاء من داء، وإنما الرغبة فهى الاستمتاع فى منتجع باهظ التكاليف فى أحد أنحاء العالم. والذات لا تستعير الدوال من الآخر الكبير فحسب بوصفه مكان اللغة، بل تستعير الدوال التى يسمح بها الآخر الكبير. ويخضع تصريح الطلب لقدر من الرقابة. وهناك نقطة أخرى تتعلق بالفرق بين الرغبة والطلب وهى ترتبط بتطور العلاقة بين الأم وطفلها؛ إذ يفرق "لاكان" بين لحظتين، الأولى أن يكون للأم قيمة بوصفها وجود أو غياب (أعنى كونها رمزية)، فلا قيمة لها سوى؛ لأنها حاضرة أو ليست حاضرة، وأن الموضوع فى حد ذاته هو موضوع حاضر يحدث آثارًا تتعلق بإشباع الحاجة دون أن يعى الطفل، ويمكنك القول بأن الأم حينما تكون رمزية يكون الموضوع حاضراً، وتبدأ المرحلة الثانية حينما يبدأ الطفل فى القيام بمطالب لذاته، أى حينما يصبح عاملاً للطلب وهنا تجد أن الحالة الأولى على العكس، ثم تصبح الأم حاضرة بمعنى أن تصبح قوة تقوم بالعطاء أو الرفض فى حين يصبح الموضوع رمزيًا ومجرد إشارة على الحب. وهكذا يصبح الطلب ، إذا صح لى القول، مزدوجًا، ويعبر عن الحاجة إلا أنه يعبر فى نفس الوقت عن مطلب الحب أو إشارة له، وهذا يعنى أن الموضوع قد اختزل فى مجرد قيمة أو إشارة للحب ليس أكثر، فبذلك يفقد الخصوصية وإذا أخفق الموضوع فى القيام بدوره كإشارة

على الحب فلن يهتم الطفل به. وبدقة أكثر يمكننا القول عن الطلب: إنه ليس على مستوى أعطنى هذا الموضع، وإنما أعطنى هذا الموضوع لتظهر لى أنك تحبنى.

والعجيب أن خبرتنا إنما تشير إلى رجوع الموضوع مرة أخرى بوصفه موضوعا للرغبة؛ أعنى الشرط الذى بدونه لا يكون هناك إمكانية الإشباع، فإذا كان الثدى- مثلاً- ليس موضوعا للحاجة ولا موضوعًا للحب فهو يعمل بوصفه سببا للرغبة الفمية، وهذا يعنى أنه يقع فى مساحة بين الطلب كتعبير عن الحاجة والطلب كتعبير عن الحب ليستعيد خصوصيتة كموضوع للرغبة ومن ثم علينا وصفه بأنه نفى مزدوج؛ لأنه ليس إشارة على الحب ولا على موضوع الحاجة، إذن فما السبب فى استعادة خصوصيته؟ ولنرجع مرة أخرى- هنا- إلى ما قيل من قبل عن الرغبة بوصفها دفاعًا ، **إن الرجوع لهذه الخصوصية هى الشرط الأساسى لوجود الذات ابتداء.** فالذات ليست مجرد دمية تحت أمر وسيطرة الآخر الكبير، رغم أنها قد تتوحد بموضوع رغبة الآخر الكبير، ورغم الخلط بين رغبة الآخر الكبير وطلب الآخر الكبير، فإن ذلك يمكننا من فهم: لم تتلهف الذات للدفاع عن رغبتها بما هى كذلك، بواسطة إبعادها عن الإشباع إلى الحد الذى يجعلك تقول بأن الذات لا تريد ما ترغبه. ولنتذكر حلم زوجة الجزار(*) الجميلة فرغم رغبتها فى الكافيار إلا أنها لاتريده، وهذا يفسر لنا رغبتها بأنها رغبة الآخر الكبير، وكل دفاع هو دفاع ضد الرغبة - عند فرويد، ويمكننا الآن رؤية مايعنى ذلك: **إذ كل دفاع هو دفاع ضد إشباع الرغبة أو يمكنك القول - مرة أخرى- بأن الدفاع هو بمثابة دفاع ضد نقصان النقصان.**

وقد جذبت انتباه "لاكان" خبرة هذه الحالة المتناقضة لموضوع الرغبة، الذى يبدو وكأنه ظاهرة تتعلق بالجنسية الأنثوية؛ فالطفلة - فى مرحلة تطورها - تطلب الفالوس من أمها، وهو طلب يغترب عن النظام الطبيعى للأمور إلى أبعد قدر. لأنه يصل إلى

(*) حلم ذكره فرويد فى كتاب تفسير الأحلام ص ١٧٠ ترجمة د. مصطفى صفوان ، دار المعارف .

طلب المستحيل، والطفلة تسأل أمها: "أمي أعطني **شيئًا**" ومن المفهوم تمامًا أنه لا يمكن للأم أن تمنحها هذا **الشيء** أبدًا، ويمكن للمرء أن يقول: إن الأشياء تجري بهذا الشكل؛ لأن مثل هذا المطلب المستحيل هو ما يبقى عليها كذات في حقل الدال، لذا يمكنها أن تستمر في الطلب، ومن ثم تظل ذاتًا، وهنا يمكننا أن نرى حالة الرغبة في تمام غموضها؛ فهي تبني مثلها مثل الطلب، ولكنها تتجه نحو الاتجاه المقابل، أما موضوعاتها على سبيل المثال (الكافيار عند زوجة الجزار الجميلة). فهي مجرد دوال مجازية لرغبات غير مشبعة، وهذا ليس بالكارثة، فهي تعني ببساطة الإشباع الوحيد الذي يمكن إعطاؤه للرغبة ليس للحصول على موضوع، إنما هدية لسد النقصان، ورغم ذلك يمكننا القول بأن الذات ترغب وبالمثل لا ترغب في الموضوع المجازي فكيف يكون هناك إمكانية للتفسير؟

وللإجابة عن هذا السؤال يشير لاكان إلى حلم أورده "فرويد" في مقالة بعنوان: صياغات حول مبدئي الوظيفية العقلية"، حينما تحدث عن مبدئي اللذة والواقع، وفي نهاية هذا المقال القصير يقص علينا حلم رجل مات والده بعد مرض طويل أدى به إلى معاناة شديدة، وقد حلم بعد موت والده مباشرة أنه يقف أمام والده وكان يتحدث إليه وشعر فيه(الحلم) ألمًا شديدًا؛ لأنه تحقق من موت والده، ولكن والده لم يعرف ذلك، ويقول "فرويد" إن هذا الحلم السخيف أصبح مفهومًا حينما نضيف جملة (إنه قد مات)، (تبعًا لرغبة الحالم) وبالنسبة لفرويد فتفسير هذا الحلم يعني استعادة الجملة المحذوفة بالنسبة للمريض.

ولكن هل يمكننا أن نعتبر هذه هي الطريقة التي ينبغي أن تعطى للمريض في التفسير؟ إن حلمه مجرد تخييل وبه عنصر يأتي من التخييل؛ أعني ظهور الأب كموضوع منافس، وقد يأتي **الحلم** بموته بسبب هذه المنافسة، وبذلك يمكننا أن نفترض أن موت الأب قد ضربه بشده بحيث نكص إلى رغبته القديمة الأوديبية، وذلك حتى يرمم صورة الأب بوصفه منافس، وإذا كان الأمر كذلك فما الغرض من ترميم الجزء المحذوف في جملته؟ وفي الحقيقة إنها حُذفت والحذف في حد ذاته بمثابة الدال، دال

رفضه ولهذا نكص إلى الصورة البدائية لأبيه ، وهكذا ينبغى أن يكون السؤال بالأحرى هو: إذا كانت رغبة الحلم تكمن فى هذا التخييل، فماذا عن رغبة المريض خارج الحلم؟ الواقع أن رغبة الذات خارج الحلم كانت أيضا تخييل الأمر الذى يفسر لم يمكننا القول بأن حياة اليقظة شيء من الحلم ويعد التخييل كذبًا وبذلك يعتبر نفى لبعض الحقيقة. ويكشفه يشير إلى وجود هذه الحقيقة. وبذلك يمكننا طرح السؤال مرة أخرى هل تحكى رغبة المريض عن تخيله أم ينبغى أن تمكنه من تعرفها بوصفها رسالة فى حلمه؟

وهذا المثال يُظهر لنا التفرقة بين رغبة الحلم والرغبة التى توازى شكلين من الوساطة اللذين استرجعناهما الآن، وقد رأينا وجهة النظر الهيجلية الخاصة بالوساطة؛ وهى أن رغبة الآخر الصغير تؤدى إلى المنافسة، وتولد النقصان؛ أعنى الإحباط. ولكن النظام الرمزى اللاكانى يولد شكلاً آخر من النقصان يطلق عليه الخصاء، ويمكنك أن تقول، باستخدام الحلم الذى أورده فرويد، إن الرغبة هى فى التفسير على التحديد، وإذا كنا نعنى بهذه الكلمة **تعرف رسالة الحلم**.

سؤال: تستطيع أن تسترسل أكثر فيما يتعلق بالهبة بوصفها نقصانا للتكميل.

لنفرض أنك تخرج مع صديقة لك ثم تجد (شيئًا) موضوعًا يعجبها، ربما إناء أو مصباح، ويمكنك اعتبار هذا تعبيراً عن رغبتها، ولكن الأمر لا يدل على أنها ترغب فى اقتناء هذا الموضوع بالضرورة، وبذلك فإنه بإعطائها الموضوع لايعنى أنك تلبى رغبتها، ولكننا نفترض أنك تقدر هذا الموضوع بنفس القدر وتعبر عن ذلك فى نفس الآن. وإن هذه المصادفة بين رغبتين تعتبر مصدراً للسعادة لكما معًا، وبالمثل إذا وقعت الفتاة فى الحب فما تريده فى المقابل- إن صح التعبير- فإنها تجد إشباعًا فى أى هبة أكثر من حبك (أعنى نقصانك) وتعد هذه النقطة أساس سوء الفهم؛ لأنه من الطبيعى أن تكون الهبة شيئًا تمتلكه لا شيئا لاتمتلكه.

سؤال: ماذا تكون نتيجة التحليل النفسى حينما يكون لديك ذات ناقصة تأتى للتحليل معتقدة أن المحلل شخص كامل يمتلك أسبابا لنقصانها؟

نقول إن الهبة المثلى هى أن تُظهر لها أنك أنت أيضا ناقص، فالمحلل لا يسلك مسلك سقراط فى – السيمبيوزيوم(*) **symposium** وبطبيعة الحال فبينما طرح السيبيادس على سقراط ،فقد أمثلة إذا يعود بمماثلته بـ "أجالما"(**)، التى هى علب صغيرة تحمل أشكالا قبيحة من الخارج إلا أنها تحتوى بداخلها على تمثال جميل لمخلوق رائع، وبذلك كان سقراط بالنسبة للسيبيادس هو الوعاء الذى يحوى ما ليس بمعلوم أى الشيء الطيب إنه لا يقول ما هذا الشيء الطيب، وإنما يقول إن سقراط هو الوعاء الذى يحمله وفى هذا المثال يمكنك رؤية مثال على الآخر الكبير المؤمثل بوصفه يحوى ما ينبغى الحصول عليه مهما كان الثمن، والسيبيادس – بالتحديد – رجل ذو رغبة جامحة وشديد الدوافع ، وقد رأى سقراط أن إعلان السيبيادس عمل خادع؛ لأنه خدع نفسه كما خدع الآخر الكبير بنفس القدر، ولذا فقد تضمنت إجابة سقراط قوله بأنه مخطئ؛ لأنه لا يمتلك أى قدر من الذهب الذى وضعه السيبيادس داخله، إلا أن المحلل لا يمضى قُدما بإعلانه عن أنها لا شيء أو أن المريض يخدعه، واللاشيء حقيقته وجودية ينبغى البرهنة عليها من خلال الأفعال، ويكفى المحلل الامتناع عن الاشتراك فى تخييلات المريض، رغم أنه يشك فى هذه التخييلات، وأن الحلم – على سبيل المثال – الذى يتعلق بالأب الميت اتسم بالسخف؛ لأن الحلم قال: إن الأب مات لكنه يعلم ذلك ، وقد يقوم المحلل بالتعليق على ذلك؛ إذ إن من المستحيل لفرد أن يكون ميتًا ويعرف فى الآن نفسه، وعلى المحلل أن يمضى قدمًا من بين ما يقوم به مثل عالم المنطق– إذ أشار فرويد إلى ذلك – ويمكننا تذكر تعليقاته حول سخف الأحلام وعن موضوعات مشابهة. وبالاضافة إلى تجنب سجنة فى تخييلاته إلا أن ذلك لايأتى بالتحرر، وإنما

(*) السمبيوزيوم بالعربية:الندوة (الندوة التى كان فيها سقراط يتحاور مع حواريه)

(**)أجالما تعريب لـ agalma وهو إناء يحمل ماهو نفيس

على الأقل مراجعة تخييله، ونفس الشيء يدل على أن رغبة المحلل التى لا توضع على نفس مستوى رغبة المريض، وبالقدر الذى فيه المرضى منغمسون فى المنافسة ، ومن ثم يمكنكم رؤية كل شيء وهو يمر من خلال رغبة المحلل.

سؤال: ما الطرق الآخرى التى يكون على المحلل اتخاذها؟

هناك طرق كثيرة حيث يمكنك المضى قدمًا- بوصفك الخطيب أو المجادل- فضلا عن مواقف ينبغى فيها الاقتصار على اتخاذ سلوك محدد، وأحيانا قد تحتاج للتأكيد على حقيقة ما قد قلتها الآن ويعتمد الأمر على ما يتناسب واللحظة، إذ يعتمد كل شيء فى التحليل النفسى على الاستعداد أو التأهب.

سؤال: إذا كان التأمثل هو الخطوة الأولى لعملية التوحد، فهل يمكنك التحدث عن تجاوز التوحد للتأمثل؟ وكيف يتجاوزه؟

هناك فصل معروف فى كتاب "فرويد علم نفس الجماعة وتحليل الأنا" بعنوان "التوحد ، حيث يقوم "فرويد - فى هذا الفصل - بتسمية ثلاثة أنوا ع من التوحد، والأخير هو التوحد الهيستيرى يصفه بأنه توحد برغبة آخر والمثال هو توحد فتاة بأخرى بلا أى تأمثل.

سؤال: لقد قابلت بين الإحباط المتخيل والخصاء الرمزى فما علاقة هذا بالعوز؟

حينما نقول: إن الكتاب ليس على الرف، فما ليس بمكانه- كما يشير لاكان بحذق- فذلك ليس بالموضوع الواقعى (لأنه ليس بالكتاب الواقعى(*)) فالواقع موجود من حيث هو على الدوام، إذ يعزى النقصان هنا للكتاب بالقدر الذى يوجد به فى اللغة

(*) Real بمعنى الواقعى وهو الموجود بالفعل وليس بالمعنى اللاكانى .

أعنى على المستوى الرمزى، ويمكنك القول باستخدامك لكلمات جيرمى بنتام حينما يعزو النقصان إلى الكتاب بصفته كينونه وهمية، وهو مصطلح يشير به بنتام للأشياء التى توجد فحسب فى اللغة مثل "الصحيح و الخطأ" و "الصفه" و "القانون" أو على الأقل لايمكننا أن توجد بلا لغة مثل الأفكار التى تتعلق بمكان مثل الشمال والغرب... إلخ

والنقصان فى حد ذاته – من حيث رؤية الفراغ على الرف– هو واقعى، وهنا يعد الموضوع رمزيا، أما النقصان فواقعى وينتمى المثال الأساسى للعوز بنقصان القضيب لدى الفتاة، ولايمكنك القول بأنه العضو الواقعى ينقصها بنفس القدر الذى يمكنك قوله إنها يعوزها عين ثالثة فالموضوع هنا رمزى ، والمرأة فى الواقع لديها أعضاء أكثر عدد من الرجل وماهو واقعى هو النقصان، أما فى حالة الإحباط فيكون النقصان متخيلا بينما الموضوع واقعى، ولذلك لايمكن إشباع الإحباط؛ لأن الإحباط ليس نقصا واقعيا أما المثال الأساسى هنا هو ما يمكن تسميته بحسد القضيب حيث يُحسد العضو الواقعى، إلا أن النقصان متخيل فى حد ذاته وهى لا يمكنها الإحساس بالنقصان دون تخيل ذلك، والموضوع فى الخصاء؛ أعنى الفالوس ماهو إلا موضوع متخيل، والسؤال هنا عن الصورة التى تهرب من النظام المرآوى ويمكن اعتبارها ثقبًا فى هذا النظام، أما بالنسبة للنقصان– فى حد ذاته – فهو رمزى بوضوح وبالقدر نفسه ينتهى فيه إلى طبيعة التعرف، وهو ما يعنى معرفة أن الفالوس دال على نقصان الأم وهذا أمر يشير إلى النقصان الذى ينبغى أن يوجه للأب والذى يستوجب عليه التعامل معه. ففى العوز النقصان واقعى أما الموضوع فهو رمزى بينما فى الإحباط النقصان متخيل أما الموضوع فواقعى، وفى الخصاء النقصان رمزى، والموضوع متخيل ولكن فى كل حالة يحدث تنافر فيما بين سجل النقصان وسجل الموضوع.

سؤال: إذا كانت الذات لا شيء فهى غياب. فهل يمكنك القيام بمراجعة ثانية لشيء عن الذات؟ويبدو وكأنك تمنح الذات إمكانية لفعل أشياء والتوحد... إلخ فكيف يمكن للذات، أن تكون غيابًا ومحركًا فى الآن نفسه؟

تشير التفرقة بين الأنا والذات إلى التفرقة فيما بين ما هو شفاف وما هو ليس بشفاف، وهى بهذا المعنى غياب، وتصبح الذات - بسبب هذا النقصان على وجه الخصوص- محركا للتقدم نحو التوحد والذات بسبب نقصانها تصبح محركا.

سؤال: أتظن أن هناك أساسًا بيولوجيًا للاشعور؟

لا لأن كل شيء قلته يمكن أن يؤخذ كبرهان على المدى الذى يبتعد فيه اللاشعور عن كونه له أساس بيولوجي؛ لأنه قلب للأوضاع البيولوجية بواسطة الدال، ولنأخذ مثالاً على الفتاة التى تسأل أمها منحها الفالوس (أمى أعطنى شيئًا) ولا يمكننا - على أية حال - تفسير ذلك فى تناغم مع أى نظام بيولوجي أو طبيعى، ونفس الشيء بالنسبة للحاجات حيث يكون النقصان واقعيًا، ولنقل إن الموضوع فى الجوع واقعى وهو الطعام، ولذلك فقد أكدت على التنافر بين النقصان والموضوع الخاص بالذات الإنسانية، وهذا التنافر برهان واضح على أننا نتعامل مع نظام للصراعات التى ليس لها حل على مستوى الطبيعة، إذ لا يوجد سبب بيولوجي يفسر لنا لم تظهر الغريزة الفمية لدى الفرد بوصفها دافعا تمنميًا(*) وكلما حاولت فهم التحليل النفسى- فى حالتى الرغبة وطلب الحب - ستشهد انقلابا للأوضاع فى كل العلاقات الطبيعية تلك التى تخضع لشيء آخر نتيجة لعلاقتنا بالدال، ونتيجة لحالتنا كذوات متكلمة احتوتنا اللغة.

(*) تمنميه نسبة إلى نمم أى أكلة لحوم البشر

سؤال: فى نظرية فرويد عن الدوافع وأهدافها الإيجابية والسلبية هل يوجد أى شىء آخر إلى جانب ماهو طبيعى؟

قد يكون هناك اتجاهات إيجابية وسلبية فى العلاقات بين الحيوانات إلا أن هذه الاتجاهات لاتعمل بوصفها استعارات للذكورة والأنوثة، وهذا هو الفرق الأساسى بين الإنسان والحيوان الذى يكمن فى استخدام الذكورة والأنوثة كدوالها

سؤال: هل يتقدم التحليل من العوز إلى الإحباط ثم الخصاء؟وهل يتقدم التحليل على هذا النحو؟

لا وإنما يمكنك وصف التحليل النفسى على أنه وساطة تمكن الذات من التغلب على الإحباط لا عن طريق إلحاق الموضوع برغبته أو بالموافقة على نوع من الاكتمال الأسطورى العضوى، ولكن باتخاذ شكل آخر من النقصان الذى وصفناه بالخصاء الرمزى، كما فى حلم الأب الميت دون أن يعلم أنه ميت، وإذا ظل المريض مكبلاً فى وضعه كمنافس للأب وكوسيلة لتجنب الاعتراف بإمكانية فنائه الأمر الذى يؤدى إلى حالة الإحباط الدائم، فإن التفسير الذى يقول له إن تخييله يفسر على أنه تنافس فإن الأمر سوف ينتهى إلى لاشىء وإن صح القول، فإن الأمر لن يخدمه البته والمهم ألا تفسر الحلم، بل نكتشف وظيفته والحالة هذه هى نفى الموت أعنى؛ نفى الخصاء.

الدرس الرابع

ألمحنا في أكثر من مرة إلى عملية نطلق عليها الاستعارة الأبوية، وهي تحدث بلا شك من وراء الذات. إذ تكابد الذات آثارها التي تتميز بالازدواجية؛ فمن جانب، فهي تمثل الفالوس بالنسبة للأم. ومن جانب آخر، فهي ليست فالوسا، و إنما هي مجرد تمثل له، ومن ثم فهي– في نفس الوقت – تتوج بوصفها الطفلة الملكة، وبالمثل تخفض من قدرها، ويمكنك التساؤل: أين يقع الخصاء؟ الواقع أن الخصاء الرمزي يخفض من قدر الذات إلى أدنى درجة منذ البداية، هذا الانخفاض في القدر يفرض عليها مهمة اتخاذ شكل من النقصان، يتبدى على المستوى المتخيل بوصفه عدم كفاية يسم صورتها المرآوية.

والرغبة تحمل وجهين الأول القانون والثاني الاعتداء عليه، ويمكنك القول هنا بأن الذات تقبع داخل نقصانها، والنقصان هو الفالوس وهو ما يرمز له لاكان (–φ)(*) وهو دال لاشعوري إلا أن حقيقة تسميته ليس بوسعها القبض على آثاره بوصفه دال لا شعوريا والواقع أن الموضوعات القبتناسلية إنما تعمل في خبرتنا بوصفها موضوعات فالية، وهو ما يفسر حديثنا عن الثدي الفالي أو البراز الفالي، ويمكننا هنا أن نقيس المدى الذي نبتعد فيه عن أي مفهوم بيولوجي للموضوع، ومن ثم عن التطور باعتباره يتضمن تكاملاً لما يطلق عليه اسم الموضوعات الجزئية التي يكون مصيرها التكامل في شكل الموضوع الكامل أي التناسلي. وهذا المفهوم الأخير يبدو على عكس ما كرره فرويد مرارا بقوله: إن الرغبة تجد إشباعها في مجال الهلوسة؛ مما يعني أن الرغبة تجري على العكس من بناء الواقع.

(*) φ حرف فاي في اللغة اليونانية .

وقد تناول لاكان مسألة موضوع الرغبة المسماة الموضوع الصغير a من وجهات نظر متعددة، ونعلق هنا بأن اللغة تتضمن ما نطلق عليه ناقل Shifter أعني ضمير المتكلم الذى يشير إلى المتكلم نفسه، فى الإنجليزية ضمير المتكلم I، ورغمها فهناك على الدوام شيء يهرب من هذه الإشارة ، وهو بالتحديد ذلك الشيء الذى أكونه ناطقًا أو متكلمًا وحينما تظهر الذات فى الجملة كضمير للمتكلم فهى تختفى بوصفها كذات المتكلم نفسه هذه هى التفرقة التى أقامها ياكبسون رغم إضفاء لاكان لها دلالة أبعد مدى مما يمنحها علماء النحو: ولذلك فإن اختفاء الذات الناطقة يحدث كلما ظهر ضمير المتكلم أو هو ما أطلق عليه لاكان الانطفاء fading أو aphansis(*) وهى كلمة استعارتها من جونز، رغم أن الأخير استخدمها ليشير بها إلى نوع من الخوف اعتقد أنه اختفاء الرغبة.

ورغم اختفاء الذات، فإنها ليست برجوعها إلى اللاشيء، وإنما يعنى أن الذات تنقصها ذاتها ويمكننا الإشارة إلى تعبير سائد وهو: "لا أعرف نفسى وهنا يأتى الموضوع الصغير a موضوع يرغبه المرء أو يريد امتلاكه ، بل هو مايطلق عليه فرويد الموضوع المفقود بالضرورة، والذات أميل لأن تَخبُر الحصر بسبب الأمل فى الحصول على هذا الموضوع أعنى الحصر مرتبط بفقدان الفقدان أو نقص النقصان؛ لأن ذلك يعنى بالنسبة لإسبينوزا اختفاء جوهر الإنسان، والموضوع الصغير a – بكلمات آخرى – هو سبب الرغبة، وهو ما يعنى أنه السبب والدال على الرغبة؛ أى إنه يعمل فى الخلفية وهو ليس موضوعا فى المقدمة كأى موضوع معتاد برغم بحثنا فى مجال الموضوعات المعتادة. وبكلمات أخرى يمكننا القول بأن الموضوع a هو الاسم المفقود؛ أى اسم الذات بوصفه ذات المتكلم. وهو ما جعل لاكان يذهب إلى حد القول بأن كلما وُجد ضمير المتكلم فى الجملة كان الموضوع a على مستوى الكلم أو النطق به. والذات

(*) aphansis مصطلح خاص بأرنيست جونز فى مناقشته لعقدة أوديب، ويشير به إلى الخوف من فقدان الرغبة الجنسية (المترجم)

التى تُصرح تتبدى فى اللاشعور ولا يمكن أن تتبدى فى الشعور، ولنأخذ الموضوع الفمى- كمثال- الذى تعده الذات جزءًا لايتجزأ من جسدها بادئ الأمر، إلا أنه قد انفصل عنها أو بُتر فهو لا يعاش بوصفه سبب لرغبتها التى تكمن فيما وراء كل ما تعبر عنه فى مطالبها المصرحة، وينطبق نفس الشيء على الموضوع الشرجي ، ولا ينفى "لاكان" المراحل أو الأطوار، ولكنه يعتبرها أطوارا لا بوصفها لحظات بيولوجية من النضج، وإنما تتوازى مع مستوى إدراك الذات للآخر الكبير وعلى المستوى الفمى تتخذ الأم أولا مكان الآخر الكبير هذا الشخص الذى يوجه نحوه الطلب أما الطلب فى المرحلة الشرجية فيصدر عن الآخر الكبير ويوجه نحو الذات، التى تجيب عليه بمنحه جزءًا من ذاتها إن صح هذا التعبير.

هذان الطوران يتفقان بموضوعات يمكن انفصالها، ولكننا إذا انتقلنا إلى المرحلة الثالثة: وهى المرحلة القضيبية حتى يعى الطفل رغبة أمه بما هى كذلك على أنها رغبة جنسية، فسوف نلاحظ عدم وجود نقصان للفالوس على الأقل بالنسبة للصبى الذى يتميز بأنه متمركز حول الفالوس إلا أن هذا على وجه الدقة هو المستوى الذى يدخل فيه القانون ليلعب دوره؛ لأنه لا توجد رغبة مرة أخرى بوصفها جوهر الفرد إلا بالقدر الذى يكون فيه نقصان، وهو الأمر الذى ينطبق على الرغبة الجنسية، ولهذا يتدخل اسم الأب بشكل ينتج عنه شكلا محددا من النقصان الذى حددناه بأنه خصاء رمزى.

وفى حلقته الدراسية "**أخلاقيات التحليل النفسى** يعرض "لاكان" لنقطة هامة، وهى: التفرقة بين الأمنية – بمعنى الأمنية الدينية التى لا تؤتى ثمارها اقتراح: بمعنى مجرد التمنى الذى لا يرجو المرء من ورائه شيئًا- فهى ليس هدفها التحقيق، الرغبة، فالرغبة بمثابة تخييل والتخييل هو كذب حيث إننى فى التخييل أنا ما لست عليه ولست ما أنه عليه ، وعلى سبيل المثال فإننى لست (هرش هاينسنت) بائع اليانصيب الفقير ومقلم الأظافر، ولكننى فى الحقيقة (سولومون روتشايلد) أغنى رجل فى العالم. وينبغى هنا الإشارة إلى القصة التى حكاها (هنريك هاين) عن شخص فقير يدعى هيرش

هاينسنت (الهاء المتكررة إشارة لسخرية حول الذات) وهذا أمر أشار إليه "فرويد في كتابه: "**النكات وعلاقتها باللاشعور** ، وهيرش هاينسنت كان يتحدث عن الألفة التى أستقبله بها صاحب العزة سالمون روتشايلد، ولكنه حين هم بالقول بكلمة famailiar "ألفة" أخطأ بالمصادفة ليقول "ألف مليون familionaretry(*)، ودفعت فلتة اللسان هذه بالكشف عن كذبه، وهذا الكشف يعني مواجهته للحقيقة بشكل لا إرادى ، ويمكنك القول بأن الحقيقة ليست سوى رسالة على شكل هفوة تستقبلها بالضحك، وينطبق الشيء نفسه على حلم الأب الذى مات دون العلم بذلك؛ لأن فرويد لم يلتفت – فى هذا الحلم– إلى تخييل المنافسة الأوديبية مع الأب الأمر الذى شيد المحتوى الكامن للحلم، إلا أن الكشف عن المنافسة بعد الموت للأب بفترة قصيرة بدا وكأنه نكوص وهو ميكانيزم دفاعى، وبهذا الاقتران فإن الدفاع ضد ما يمكن إدراكه لموت الأب تمثل قدرهما المشترك، وبذلك يكون هناك أكثر من مجرد تخييل أوديبى، وهذا ما يطلق عليه لاكان رسالة الحلم، ولذلك فالتفسير يصبح أمراً رهيفًا

وحين نفسر للذات تخييلها – فهو فى الحقيقة – عملية ميئوس منها، ولايمكنك أن تقول للحالم. إن حلمه كان نكوصًا أو دفاعًا أو هروبًا من الموت؛ لأنك إذا قمت بذلك فإنك تعامل خوفه من الموت كما لو كنت تضىء نورا أحمر فلم لا تعطيه مخالفة؟ والواقع أنه أثناء الفترة المؤلمة لمرض والده كان المريض واعيًا بأمنيته؛ فقد عانى الأب معاناة شديدة بحيث تمنى موته ليتخلص من ألمه، ويرى لاكان أن طريقة التناول المبدع لهذا الحلم – أعنى رسالته – قد تذكر المريض بأمنية؛ كان قد عبر عنها مضيفا إلى ذلك بأنها كانت بهدف إراحة الأب. وأعنى أنك قد تعترف بهذه الرغبة كما أحسها المريض ذاته أثناء معاناة والده وهذا على الأقل قد يكون التناول المبدئى لما هو عرضة للمجازفة به.

أما الفرق بين الأمنية وبين الرسالة التى يكشف عنها، هى بالتحديد ما ترغب الذات فى عبوره، كما قال فرويد فى عبارته المأثورة: "تأتى الذات حيث كان الهو(**)"

(*) قامت الفكاهة فى النكتة على فكرة تحول كلمة ألفة التى تعنى استقبال المليونير روتشايلد لهاينست، فبدلا من قوله إنه استقبله بمشاعر ألفة أو ود أو وفاء قال اتفمليون ليتحول المعنى فيفصح عن أنه استقبله بأمواله الطائلة التى تبلغ "ألف مليون"

(*) بالألمانية فى الأصل. أفادنا الدكتور صفوان أن لاكان يفضل ترجمة هذه العبارة هكذا.

وهذه المسافة بين النقطة التى كانت الذات عليها فى تخييلها وبين الحقيقة هي ما يجعلنا نتحدث عما يُطلق عليه: "**لحظة الحقيقة**"؛ أعنى اللحظة التى تتخذ فيها الذات الحالة الحقيقية من النقصان، ويعتبر التحليل النفسى تحقيق لعبارة فرويد المأثورة"

وهنا نعّرج على ما يقوله "لاكان فى حلقته الدراسية "**أخلاقيات التحليل النفسى**" وذلك حينما تتخلى الذات عن رغبتها، فإنه من المؤكد أنها تشعر بالإثم، ويقول جونز" فى وصفه لعقدة أوديب عن الصبى حينما يجد الصبى نفسه فى موقف يكون عليه المفاضلة فيما بين الموضوع والفالوس، فإنه سيختار الموضوع؛ أعنى الأم ويتخلى عن الفالوس. أما "لاكان" يرى – على العكس من جونز– أن الذات تتخذ الطريق لتكون الفالوس ، وبكلمات أخرى ستختار الفالوس، تاركة الموضوع، وهو الطريق الذى يفضله الصياد الذى يفضل البندقية على الفريسة، وهنا تكمن دلالة التخلى عن الرغبة، ويمكنك التأكد من وجود مشاعر إثم.

أما الرأى السائد، فهو أن مشاعر الإثم ترتبط بالحصول على الموضوع فذلك يبدو خاطئا ويمكن للجميع ملاحظة ذلك؛ وهو أن التخلى عن الموضوع لا يؤدى إلى الإعفاء من مشاعر الإثم، وتبعاً "للاكان" فإن التخلي عن الموضوع يمثل فى حد ذاته علامة على الإثم إن لم يكن الإثم فى حد ذاته.

وفى نفس الحلقة الدراسية يقدم "لاكان فكرة الشيء (la chose) وتماثل فى الألمانية (das ding) والإنجليزية (The thing) ويمكن أن نعرف الشيء على أنه: النقطة التى تكون عندها كلمة الآخر الكبير لا ضمان لها (بمعنى الحديث وبمعنى الوعد أيضا)، وإن ما يضمن كلمة ما هى الكلمة الآخرى؛ إذ لامناص من الخروج خارج اللغة، وبهذا المعنى لا وجود للميتالغة (ما بعد اللغة) وبالتالى فإن الشيء هو ذات النقطة التى تنكشف عندها رغبة الآخر الكبير بوصفها لغز. وهى ذات النقطة التى سبق أن أشرنا إليها بوصفها الصدمة أعنى النقطة التى عندها تجد الذات نفسها عاجزة تماماً.

وتبعا "للاكان فإن فكرة فرويد (Hilflosigheit)(*) لا معنى لها سوى العجز فى مجابهة لغز الآخر الكبير. أعنى رغبة الأم فى المقام الأول وبناء عليه يمكن للمرء القول:

(*) تمثل فى الفرنسية délaissement ، أى المهجر أو التخلى .

إن الشيء إنما يوجد فيما وراء كل تمثل. وهذا ما عبر عنه "لاكان" بقوله: إن الشيء- على مستوى التمثل- يكون بمثابة اللاشيء ورغمها، فإنه انطلاقا من الشيء تبزغ كل التمثلات. إنه انطلاقا من الشيء - إذا صح القول - فإن حركة التمثلات تنطلق، ومن خلالها تسعى الذات إلى مصلحتها تبعا لمبدأ اللذة. وقد رأينا من قبل إنه ابتداء من هذه النقطة تحل الاستعارة الأبوية محل لغز نقصان الآخر الكبير (الأم في المقام الأول) وهو نقصان يمكن الدلالة عليه بوصفه الخصاء.

ومن المفيد هنا أن نعتبر الخصاء بمثابة أثر اسم الأب بالقدر الذى يعمل به كاسم يُستبدل به النظام والقانون محل الرغبة الجامحة، وهو مايعنى أن الخصاء لابد من اعتباره أولا أثرا من آثار الدال. أما وظيفة الأب الواقعى تأتى فى وقت لاحق رغم أنها لا تتضمن أى تقليل لأهميتها، ووظيفة الأب - تبعا لفرويد- وظيفة طبيعية، أما "لاكان فيعتبرها وظيفة معيارية فى جوهرها؛ لأن دور الأب دور المؤازر أو المانح أو الداعم للمحظورات - إن صح التعبير- التى يمكّن الذات من إيجاد طريق إلى عالم الرغبة.

ويمكننا هنا إدراك الفرق بين ليفى شتراوس وبين لاكان بوضوح فيما يتعلق بمسألة تحريم المحارم: إذ يرى ليفى شتراوس أن التبادل فى تحريم المحارم، وتبعا له إذا كان لدينا معطى لبناء ثنائى الحد للعلاقات الإنسانية، فإن ذلك يجعل من المستحيل تحقيق السلام بين المتشابه(*) أو بين الأنوات، ولا يمكن لمجتمع أن يتسم بالحيوية دون التقدم نحو التبادل. وهنا تكمن ضرورة قوانين الزواج أعنى تبادل النساء فى الجماعات الإنسانية ، ومنها تحريم إتيان الأم وهذا تبعا لليفى شتراوس. والواقع أن هذا المفهوم لا يفسر التحريم على وجه التحديد بين الأم والابن. فلم لا نفترض أن الأم لا يمكنها تدريب ابنها على الفعل الجنسي؟ وهو تخييل شائع لدى الحضارى، ولم لا تكون إحدى وظائف الأم التدريب على الفعل الجنسى مع ابنها قبل زواجه؟ ويغيب تمامًا فى نظرية ليفى شتراوس ما يحرم مثل هذا الفعل المحارمى، أما الطلب - تبعا

(*) بالفرنسية فى الأصل.

للاكان– فيوجه إلى الأم؛ لأنها لا تمنح كل موضوعات الطلب، وبلغة "كلاين" فهى الوعاء الشامل وهي بهذا المعنى الخير الشامل ، والاستمتاع بها يعنى نهاية العالم الكامل للطلب. ومن ثم فإن تحريم المحارم بين الأم والابن يعد – على وجه الدقة – الشرط الذى بدونه ينتفى أى وجود للذات التى هى ذات للطلب؛ أى ذات للدال. عليك أن تطالب بشىء أكثر من ذلك، وباختصار، فإن الخير الأسمى – كما يذكر لاكان– لايتحقق؛ لأن الخير الشامل (الأم) محرمة. وهنا يكمن أساس القانون الأخلاقى– عند لاكان– على عكس فرويد ويذهب لاكان إلى حد القول بأن كل كلام – فيما وراء الخير أو الشر– إنما يمثل طريقة التملص والخلاص من الموضوع الحقيقى، وأنه لايمكنك الذهاب إلى ما وراء الشر، بل يمكنك الوقوع فيه، بينما يمكنك الذهاب إلى ما وراء الخير.

وقد طرح لاكان فى حلقته الدراسية التالية عن **"الطرح"** أطروحته عن رغبة المحلل كمحور يُشيِّد التحليل، ولقد رأينا من قبل كيف أن فكرة مضاد الطرح بوصفها الدليل الذى يخدم ويبرز إخفاقات المحلل، هو ما دفع بعض المحللين أمثال ماكالبين اعتبار الطرح ابتداع مميز لموقف التحليل النفسى فى حد ذاته، وبذلك يتشابه مع الإيحاء والإخضاع، أما لاكان فيبتعد كل البعد عن ذلك؛ لأن وجهة نظره تكمن فى أن التحليل النفسى يضع ما يعرف بالحب الحقيقى(*) موضع اختبار بشكل أكثر حدة، لم يكن عليه من قبل والطرح بالنسبه للاكان ليس سوى برهان على الطبيعة النرجسية لكل أشكال الحب. وبالإضافة إلى هذا الاعتبار كان لدى "لاكان" سبب آخر لفهم رغبة المحلل على أنها محور مركزى فى التحليل النفسى أو خبرة التحليل ، حقًا أن المبادئ الأساسية فى تعاليمه– إن صح القول– هى أن الرغبة هى رغبة المحلل، فبالنسبة "للاكان فالمحلل ليس الآخر الكبير، إنما هو من يوضع فى مكان الآخر الكبير، مما يترتب عليه أن مجرد وجود المريض فى موقف التحليل النفسى يستثير لديه تساؤلا حول رغبة المحلل، متى كان هذا السؤال موجهًا إلى الآخر الكبير فحسب أو من يحل

(*) بالألمانية فى الأصل fine echte liebe.

محله آنذاك يمكن للذات الوصول إلى رغبتها

والواقع أن المحلل يعرف ألا وجود لإجابة هذا السؤال- وبمعنى آخر، فإن رغبة المحلل لا يمكنها أن تكون ملكا لهذا أو ذاك، ولكن يمكن أن تمتلك الدلالة عليها، ودالها هو النقصان، ولذلك فالشيء الوحيد الذى يمكن للمحلل الإجابة عليه لمثل هذا السؤال هو الصمت؛ أعنى أن المحلل يجد رغبته فى وظيفة الحفاظ على الفراغ الذى يتردد فيه السؤال che vuoi ماذا تريدنى أن أكون(*)؟ وهكذا فإن عدم الإجابة، إنما يوفر للذات موضوعا لسؤالها (الموضوع هو مجرد هلوسة لسبب السؤال إن صح القول) وعلى المريض أن يأتى بدوال لرغبته ويعيد بناءها فى علاقتها بهؤلاء الذين شغلوا مكان الآخر الكبير (أساسا الوالدين). إذًا لم يتخذ الحب الطرحى عمله على هذا النحو؟

أود - هنا- أن أقوم بملاحظة - مبدئية - خاصة بالطرح - حيث إنه لايعنى بالضرورة وقوع المريض فى حب المحلل بشكل ظاهر؛ ففى الكثير من الأحيان يكون هناك حب مكبوت؛ أى حب يقاوم الإقرار به، ويمكن الاستدلال على ذلك فى عودة المكبوت. لكنه لايقال أبداً ، ويكون على المحلل امتلاك قدر هائل من النرجسية كى يزعم أنه محبوب من مريضه، لذلك إن قال ذلك يقدم حبه بوصفه إجباراً للتكرار.

ويمكن للمريض- بالإضافة لذلك- متى كان موقف التحليل النفسى فيه إنقاذ لنرجسيته من الوقوع فى حب موضوع آخر، وهى ظاهرة نطلق عليها "الطرح الجانبى ونخطئ إن لم ندرك الطرح الجانبى بوصفه طرحا حقيقيًا.

نرجع - ثانية- إلى الأطروحة المقدمة فى الحلقة الدراسية للاكان عن الطرح، حيث إنه لم يكن قد طور بعد نظريته فى **الذات المفترض أنها تعرف** كأساس للطرح، هذا وقد أعطانا لاكان إجابة؛ وهى أن تحب الذات شخصًا يكون ذلك بمثابة الطريقة المثلى لخداعها بالقياس إلى نقصانها، و يمكن للمرء أن يقول: إن المكان الطبيعى

(*) هكذا فى الأصل.

للناس أن يكونوا محبوبين. والمرء يحب أن يكون في مكان حب النفس، فذلك يجعله يقع في الحب مما يضمن له حقه في أن يحب، ولهذا يقول لاكان: "إن الحب استعارة" بمعنى العملية التي تحول من يحب إلى محبوب، بينما تقع معجزة الحب في مثال أخيل(*) لباتروكلس، وكذلك في مثال الستس؛ لأنه من الطبيعي أنك متى منحت حبك فإنه يتضمن تأكيداً بأنك أيضاً محبوب، وهذا التوكيد كامن حتى حينما لا يكون الحب حقيقيا، ولذلك يقول لاكان: "الحب متبادل على الدوام. أما المحللون الآخرون فيقولون: إن الحب هو طلب الحب. وهو يعني توكيد الطبيعة النرجسية لهذه الظاهرة، فالحب هو نقصان أكثر من كونه سد النقصان، وهذا مايدفع بالسؤال عن سبب النقصان وهو السؤال عن الموضوع الذي يتضمنه الآخر الكبير، وهو مالا أعرفه ولذا أحبها أو لذا فهي تُحب، وهنا يأتي موضوع الرغبة كما وصفناه؛ أعني بوصفه موضوعاً مفقوداً بالضرورة، موضوعا لايمتلكه الآخر الكبير وبالمثل لاتمتلكه الذات، والحب هو الوسيلة التي نضلل بها الآخر الكبير فيما يتعلق بالنقصان، وذلك بالتظاهر بأنها تمتلكه، ولذا فلا عجب إن كان لاكان قد حدد مكاناً للموضوع الصغير a على أنه الموضوع الغامض الذي وصفه بأنه (agelma) (*) الذي كان السيبادس فخوراً بأنه الوحيد الذي ألقى عليه نظره، أي على سقراط المؤمثل أو الذي لا مثيل له.

ولابد أن نلاحظ – مره أخرى- أن الموضوع الصغير a يعتبر في حد ذاته، وليس في تخفيه، جزءا من أجزاء الجسد انفصلت الذات عنه، أو قطعت، وبالتالي يعمل بوصفه نقصاناً ومؤشراً على النقص.

وإذا نظرنا للأمر من هذه الزاوية يمكننا القول بأن ذلك في حد ذاته بمثابة جذور للهوية، وهو كما سبق القول يعد بمثابة الاسم المفقود للذات من حيث لا تستوعبها الدلالة عليها بضمير المتكلم ، ولكنا الآن يمكننا إدراك جذور الغرابة المُقلقة إذا ظهرت

(*) باتروكلس ابن عم أخيل ، قتله هكتور في حرب طروادة، فقتله أخيل بدوره، في ثورة انتقام، وضحى باثنى عشر نبيلا طرواديا في جنازة باتروكلس.

(*) أجالما agalma : عند اليونانيين هو إناء يحتوي على النفيس (أرسطو)

فى مجال الإدراك، وهنا نجد أساس الحصر- مثلما وصفه فرويد في مقالة الغرابة المقلقة ، حيث كان البطل مضطرا لإكمال الدمية بعينه هو، حيث كانت الأعين تقدم بوصفها موضوعا لا للاقتناء، بل للبيع، ولهذا يقول لاكان فى حلقته الدراسية عن الحصر إن الموضوع الصغير a يعد موضوعًا ينتمى بناؤه الذاتى الوحيد إلى هذا الأثر.

سؤال: ماذا عن الموضوع الصغير a بوصفه اللاشىء؟

نشير باللاشىء إلى رفض الموضوع بهدف التمسك بالخصاء، ولذا نقول بأنه انوركسيا anorexia حيث لاتأكل الذات شيئًا، فاللاشىء هو الرغبة الفمية الأولى كما يعد اللاشىء حارس الرغبة، مما يعنى رفض الموضوع للاحتفاظ بالرغبة.

سؤال لم تُعدُّ الرغبة ذات طابع أخلاقى؟

تبعا للنظرية المعطاة، فإن التطور الليبيدى أو النضج، إنما يحدث طوليا؛ إذ يتقدم من المرحلة الفمية نحو المرحلة الشرجية ثم الفآلية – أو على نحو أكثر تحديداً – إلى المرحلة الفالية النرجسية، حيث يجابه الصبى- هنا- التهديد والخصاء ، أما العامل المحرك له فهو الأب المتخيل، وتحت ضغط هذا التهديد يتخلى الصبى عن أمه ويحصل على ما يمكن أن يطلق عليه اسم الموضوع التناسلى، بالقدر الذى تتفاجأ(*) فيه الذات، وبالقدر الذى ترفض فيه الذات هذه الفجوة أى بالقدر الذى ترفض الخصاء بوصفه الدّين الرمزى فإنها تنكص إلى المرحلة الشرجية أو المرحلة الفمية، وهو مايفسر لما تعمل الموضوعات فى خبرتنا على أنها موضوعات فالية. نتحدث هنا مرة أخرى عن

(*) الذات تتفاجأ :صارت بها فجوة ،من المصدر فجو(المنجد)

البراز الفالي أو الثدى الفالي، وإن هذه الحقيقة عن الرغبة بوصفها وظيفة القانون إن لم تكن القانون هو ما يمنح الرغبة مكانتها الأخلاقية؛ فبالقدر الذى ترفض فيه النقصان، فإنها لا تستطيع أن تهرب من الخصاء كدين مرة أخرى، كل هذا متضمن فى قول فرويد المأثور الذى أشرنا إليه آنفًا

سؤال: لم أفهم تمامًا مسألة الشىء الذى يشير إليه لاكان بوصفه صورة المطابقة والمنقسمة إلى جزءين وعلاقة الشىء بنسخته المطابقة.

إذ كنت تعنى بالنسخة المطابقة ما أطلق عليه فرويد (Nebenmensch) فمعناه بسيط ، فهناك شخص قد يحقق ما أطلق عليه اسم فرويد الأفعال المحددة نحو الطفل، ولأن الطفل يتسم بأنه لا حول له ولا قوة فهو عاجز عن إنجاز أو تحقيق أفعال ضرورية تحقق كسبا لموضوعات الحاجة على سبيل المثال: الطعام، ومن ثم يكون هناك آخر يقوم بذلك، هذا الشخص الذى يقوم بهذه الأفعال قد يكون- إن صح القول- منقسما إلى جزءين ويكون أحد الجزءين قابلا للتغيير فى شكل تعبيرات وإيماءات وجهية والجزء الثانى يبقى كما هو وجه، جزء يطلق عليه فرويد اسم النواة ويتعرف إليه دون فهم، وقد تشير إيماءة منه إلى معنى، إلا أن الوجه قد يتعرف إليه (الطفل) أولا، إلا أن "لاكان قد ارتأى لهذه الفكرة معنى مختلفا؛ وهو أنه فى علاقته بالـ (Nebenmeneh) أو بالفرنسية (Prochain) أعنى القريب أى جارى كما فى "أحب لقريبك كما تحب لنفسك وهكذا فهناك جزء من الآخر الكبير عاطل عن تمثيله أو الدفع به نحو الشفافيه؛ أعنى نقطة رغبة الآخر الكبير بوصفها لغز، هذا هو معنى الشىء، ويعطينا لاكان مثالا عن شخص عزيز لديك يضعك فى موقف حرج إلى الحد الذى لاتجد لك مخرجا سوى أن تتفوه بكلمة "أنت ويصفها على أنها الأنت التى تنتمى إلى تعويذة ترويض الاسم. وأعنى بالترويض: الترويض الذى لايروض، ويقول "لاكان هذه الأنت هى كلمة الشىء[*]

(*) بالفرنسية فى الأصل .

(وهذه الجملة لايوجد لها ترجمة فى الإنجليزية) لأن كلمة mot بالفرنسية تتعارض مع كلمة parole وهو تعارض يغيب فى اللغة الإنجليزية.

سؤال: هل هذا يعنى أنه فى ذروة الحب تصبح الإجابة الوحيدة أنت ؟

لا فى ذروة الحرج الشديد: هناك لحظات من الحرج فى مجابهة الآخر الكبير (سواء كان الآخر الكبير رجلا فى مواجهة امرأة أو امرأة فى مواجهة رجل)، حينما لا يكون أمامك أى وسيلة أخرى سوى أن تقول "Tu" وهى بالفرنسية تحمل معنيين أولهما ضمير المخاطب والثانى صه(*)

(*) المعنى هنا به تورية من حيث إن لفظ tu يعنى ضمير المخاطب بمعنى إسكت (صه) في ذات الوقت

ملحق- متضمن

سؤال: سيد صفوان بما أن هذا لقاؤنا الأخير فهل لديك وقت لكى تحدثنا عن التدريب على التحليل النفسى؟ فعلى سبيل المثال لم يكون على المتدرب أن ينتهى من تحليله، أولاً ثم يشرع فى الممارسة؟

تشترط الجمعية العالمية للتحليل النفسى على المتدرب إنهاء تحليله الاثنينى وبعدها- إذا كان مصرحًا له- يمكنه ممارسة التحليل النفسى، إلا أن المعروف أن معظم المتدربين لاينتظرون حتى النهاية، وغالبا مايكون للمتدرب إمكانية البدء فى تحليل مرضاه دون أن يطلق على ذلك اسم "التحليل فمثلا: يمكن لدى المتدرب أن يقابل مريضا ثلاث مرات أسبوعيا، ويتظاهر بأن ذلك ليس بتحليل؛ لأن التحليل يشترط أن يكون أربع مرات- على الأقل- أسبوعيا، ولذلك قد أخذنا هذه الأمور فى الاعتبار فى الأوساط اللاكانية. هذا بالإضافة إلى أن المتدرب عندما يشرع فى ممارسة التحليل بينما لايزال خاضعًا للتحليل فهذا أفضل من بدء الممارسة بعد التحليل. وهذه مسألة شكلية لا يتحقق من خلالها أى شىء فى تعديل اقتصاديات الليبيدو، فالمحلل الذى يبدأ الممارسة بينما يظل فى تحليله قد يكون اكتسب بعض معرفة باللاشعور ، معرفة تكفى بحيث يضع رغبته على مستوى آخر. أعنى أنه دُفع لإدراك بعض شراك النرجسية، وهو ما يمكنه من إدراك المكبوت؛ ومن ثم إزالته. ولذا فقد رأينا أنه من الأفضل الاعتراف بحقيقة قبول شخص قام ببعض العمل التحليلى الشخصى بوصفه متدربا بدلا من حرمانه من ذلك تمامًا

ويوصى بالإشراف؛ لأنه مهما تعمقت فى تحليلك، فلا يمكنك فى نفس الوقت أن تسلك مسلك أو ترى ما يراه المحلل، فالإشراف هو الفرصة التى يمنحها لك لكى ترى،

إذا صح القول، الديناميات أو حتى المنطق فى مسيرة التحليل النفسى أو (الديالكتيك) وهو ما لا يمكنك القيام به مع مجرد زميل أو صديق، فهناك جزء من النرجسية يستحيل عزله ويتدخل باستمرار فى مثل هذه العلاقات ، ولذلك يفضل أن يكون الإشراف مع شخص أكبر سنًا وأكثر خبرة وأن يُدفع له أجُر، مما يُفّعل العمل ويؤكد على طبيعته كعمل. وبالإضافة لهذا فإن حقيقة أنك قد خضعت للتحليل أو حتى تم تحليلك جيدا يمكنك من الإمساك بدلائل خطاب لاشعور مريضك وتداعياته، ورغمها لن تعرف بالضرورة ما الذى عليك القيام به إزاء مافهمته، ولذلك فهناك فرق بين المعرفة التى تجمعها أثناء عملية التحليل واستخدامك للمعرفة، وهنا فإن مسيرة الإشراف قد تحمل فى ثناياها شيئا نتعلمه، فعلى سبيل المثال قد يدفع بالمحلل لرؤية مفارقة قدمت له كمادة أنذاك دفعته لتساؤل وجيه رغم عدم معرفته ما الذى عليه القيام به إزاء هذا السؤال، وقد يكفيك (أثناء الإشراف) أن تقول للمتدرب إن هذا هو السؤال الذى ينبغى أن تسأله لمريضك إنها ملحوظة بسيطة، ولكنه كان فى حاجة إليها، وبالإضافة إلى ذلك فإن المحلل يكون أصم بالقياس إلى بعض نقاط هامة مما يؤدى إلى قيام طرح سلبى ، وإذا أشرت إلى هذه النقاط فسيكون أمرًا مفيدًا، وإذا تكررت مثل هذه اللحظات من الصمم بحيث يهدد التحليل، ويتدهور الأمر بحيث يصبح مجرد عملية إغواء متبادل فإن المتدرب عندها– وهو تحت الإشراف – يتمكن من رؤية عدم كفاية تحليلية مما قد يدعوه لاستكماله، وهذه واحدة من الخدمات الجليلة التى يقدمها الإشراف للمحلل المبتدئ.

سؤال: لقد أشرف عليك لاكان – فهل يمكنك أن تقول شيئا عن ذلك؟ وكيف كان لاكان كمشرف؟

لم يتدخل "لاكان" –عمومًا– بينى وبين مرضاى ، وإنما – بالأحرى– يقدر عمل المحلل، وكان يعبر عن تقديره للعمل إذا كان جيداً؟

وهذا له أثر مزدوج فى العموم، فمن جانب إن تشجيع المحلل يجعله مسترخيا فى عمله، ومن جانب آخر يدفعه لملاحظة جوانب الجودة فى أسلوب متابعة عمله أعنى تمكينه من أن يرى ما التحليل، ولسنا فى حاجة إلى القول بأن "لاكان كان مهيأ على الدوام لكل الأسئلة النظرية، طالما تطرح فى الوقت المناسب من المادة بمعنى مايقال، ومايحدث أثناء الجلسة.

وكان يتدخل حينما تفلت نقطة من المحلل فحسب، وأتذكر مثلاً: مريضًا- لدى- يعمل ميكانيكى سيارات؛ وفى إحدى الجلسات قدم خطبة طويلة عن ابن رئيسه فى العمل والذى زار المحل لتوه، وكان حديثه يحمل كراهية مقيتة غير عادية إلا أنه أثبت فيه اهتمامه حول قسمات وجه ابن رئيسه وظل يصف وجهه، وازرار قميصه الذهبية وهكذا وعند نهاية هذه الصورة المليئة بالكراهية قال: أحس أننى أتضاءل كما لو كنت استمنيت لتوى، وفى مقابلتى مع "لاكان" كنت أميل إلى تفسير هذه الكراهية على أنها موجهة إلى أخيه، وأنها تكررت مع ابن رئيسه، وكان لاكان غير صبور وقد أظهر ذلك وأشار لى بالمعنى، وهو تقريره بالاستمناء وكان تفسيرى خارج المرمى؛ لأننى لم أخذ فى اعتبارى الإشارة إلى الاستمناء الذى جاء فى النهاية، ومتى أشار إلى ما قد أفلت منى، استطعت إدراك أن الكراهية لم تكن تكراراً مع شخص تاريخى، وإنما أساس علاقة بنائية مع الآخر. أى إنها تعبير عن البُعد الجنسى فى علاقته بصورته النرجسية (الأنا الآخر) ولأنى لم ألحظ الجزء الخاص بالاستمناء، لفت "لاكان نظرى إلى هذا التفصيل الجوهرى وهذا ما أعنيه بالتدخل عندما تفلت منك نقطة.

وفى إطار الذكريات عبر لاكان عن دهشته حينما قال لى: "إننى سلكت كمحلل فى موقف محدد، بشكل يمكن مقارنته بالطريقة التى كان تسلكها"، كنت سعيداً بهذه المماثلة وأضاف إلى ذلك على التو "أقول لك ذلك؛ لأن الأمر مشكل بالنسبة لى. إننى لم أشر عليك بالكيفية التى تسلك بها ومع ذلك أشير عليك وبذلك ضعفت اللذة التى حصلت عليها جراء المماثلة.

سؤال: ما النقاط التى تراها مهمة فى الإشراف؟

حينما يكون هناك شخص تحت الإشراف، فإننى أعتبره مسئولا عن مسيرته، بالإضافة إلى ذلك، فإن مسئوليته تكون ثانوية، بينما تقع المسئولية الأساسية على المريض، وما أعنيه هو أن المحلل يمكنه فحسب اللعب بالكروت التى يقدمها المريض، إلا أن المهم هو معرفة اللعب بهذه الكروت التى أعطيت له، فإذا لعب على نحو جيد "أعنى سلوكه مناسبا" أو حتى أفلتت منه نقاط هنا أو هناك لا قيمة إستراتيجية حقيقة لها، فإننى لا أتدخل إطلاقا بأكثر مما تدخل "لاكان" معى، وقد أتدخل فى اللحظة التى يكون فيها المتدرب أحس بالإحراج، ولكن في العادة لا أقول له ما يفعله، وكثيراً مايعبر المتدرب عن ذاته قائلا: "لا أعرف إذا كان على أن أقوم **بهذا أو ذاك**" ، وفى هذه الحالة قد أقول له: **هذا** أفضل من ذاك وإذا ما قلت له شيئا فمن واجبى أن أفسر سبب ماقلت، وهنا اتخذ واجبى فى تفسير الأسباب، و تندر الحالات التى أتدخل فيها بالفعل فيما بين المتدرب ومريضه ، فمثلا: الحالات التى لا يسمع فيها المتدرب (يصاب بالصمم) لذنب لاشعورى يصرح عن نفسه فى أفعال واقعية لا تعتبر عقاباً ذاتياً فحسب، وإنما قد تدفع بحياة المريض إلى الخطر، عندها قد أتدخل بقوة؛ لأن المسئولية – حينئذ – تقع على المشرف، الأمر الذى يفسر لم يعد الإشراف أمراً ضرورياً

وهناك – أيضًا– حالات قد تبرهن على أن التحليل ما هو إلا مداورة عظمى للإغواء، ولنقل من جانب المريض ولكن المحلل يتواطأ معه، ويا لها من متعة مستمدة (من هذه الوضعية)(*) ، وإذا استمرت الحال على ما هى عليه قد أضطر إلى القول بأن الأمر لم يعد بتحليل، وأن على المتدرب أن يتوقف عن التحليل، أو الواقع أن نتيجة ذلك يؤدى بالمتدرب إلى مجابهة مسئولياته مما يحرره نحو اتخاذ خطوة، وقد لا يتخذها أو يتخذ مسئوليته أو يتنصل منها

(*) المترجم

المؤلف فى سطور

مصطفى صفوان

– مواليد مدينة الإسكندرية عام ١٩٢١

– تخرج من جامعة الإسكندرية ١٩٤٣

– بدأ تحليله النفسي عام ١٩٤٦ على يد مارك شلو مبرجر الذى يقول عنه صفوان كان يمارس التحليل كونه عالًما فى فقة اللغة أكثر من كونه عالًما نفسياً

– صاحب لاكان فى رحلة تلمذة بدأت عام ١٩٥١ وامتدت ردحًا طويلا من الزمن أطول مما هو ممكن فى أى عالم مهنى

– يمثل صفوان علماً للاكانية على المستوى العالمى

– إذا كان صفوان يرى أن إحدى بصمات لاكان على نظرية التحليل النفسي لفرويد تتمثل في حل متناقضات نظرية فرويد ، فإنه يؤكد أن بصمته على نظرية لاكان تتمثل في حل المتناقضات التى تشتمل عليها النظرية اللاكانية وهو ما نطالع جانبًا منه في هذا الكتاب

من مؤلفاته

- **La sexualité feminine.**
- **Etudes sur l'Oedipe (1974) .**
- **L'inconscient et son scribe (1982)**
- **Jacque Lacan et la question de la formation des analystes (1983) .**
- **structuralisme en psychanalyse (1968)**
- **la parole ou la mort (1993)**

كما ترجم إلى العربية

علم ظهور العقل لهيجل

تفسير الأحلام لفرويد

العبودية المختارة

عطيل وهاملت بالعامية المصرية


محمد خطاب

المترجمة في سطور

أ د نيفين مصطفى زيور

حاصلة على درجة الدكتوراة فى الآداب قسم علم نفس من جامعة عين شمس

- أستاذ رئيس قسم علم النفس بكلية الآداب جامعة عين شمس
- شاركت فى عدة مؤتمرات للتحليل النفسى
- أشرفت على رسائل لدرجة الماجستير والدكتوراة فى التحليل النفسى
- محللة نفسية مارست التحليل زهاء ٢٥ عاماً
- عضو مؤسس لجمعية التحليل النفسى (تحت التأسيس)

من مؤلفاتها

- سيكولوجية النمو
- الاضطرابات النفسية للطفل والمراهق
- فى الواقع النفسى

الترجمة

خمس محاضرات فى التحليل النفسى لفرويد .